دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	إشكالية المحافظة على النسيج العمراني التاريخي للمدينة السعودية : دراسة تاريخية وعمرانية لمدينة الهفوف
المصدر:	الدرعية
الناشر:	الشيخ ابو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
المؤلف الرئيسي:	النعيم، مشاري بن عبدالله
المجلد/العدد:	مج 13, ع 51,52
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2012
الشهر:	يناير - محرم
الصفحات:	173 - 224
رقم MD:	179256
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	التمدن ، التخطيط العمراني ، الهفوف ، السعودية ، الأحوال الاقتصادية ، الأحوال الاجتماعية ، الأحساء ، المساجد ، الأسواق ، المساكن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/179256

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

إشكالية المحافظة على النسيج العمراني التاريخي للمدينة السعودية:

دراسة تاريخية وعمرانية لمدينة الهفوف

الدكتور: مشاري بن عبد الله النعيم*

***بكالوريوس من جامعة الملك فيصل (جامعة الدمام حالياً 1990م.**

– ماجستير في العمارة من الجامعة نفسها عام 1993م.

– دكتوراه في النقد المعماري من جامعة نيوكاسل أبون تاين عام 1998م.

– له كثير من البحوث والدراسات المحكمة والمقالات باللغتين العربية والإنجليزية.

– يعمل الآن أستاذ النقد المعماري بقسم العمارة بجامعة الدمام.

التمهيد:

تركز هذه الدراسة على الوسط التاريخي لمدينة الهفوف، في محافظة الإحساء كأحد الأمثلة المهمة التي يمكن أن نتعلم منها كيفية المحافظة على التراث العمراني واستثماره، خصوصاً وأن مدينة الهفوف تعتبر أحد الأمثلة العمرانية التي حظيت بتجربة تاريخية متعددة ومتنوعة. تتبعت الدراسة المسار التاريخي لنشأة وتطور مدينة الهفوف من بداياتها وركزت بشكل واضح على المفاصل التاريخية التي مرت بها، حيث تم وضع تصورات للمدينة في كل مرحلة سواء على مستوى البنية العمرانية أو الاقتصادية والاجتماعية. يضاف إلى ذلك تقدم الدراسة مسحاً

السنة: الثالثة عشرة **الدرعية** **المحرم 1433هـ**

العددان: الحادي والثاني والخمسون **يناير 2012م**

متكاملاً لعناصر مدينة الهفوف الحالية وتركيبتها السكنية ونظامها الاجتماعي وتفرد ببعض التفاصيل مساحة واسعة للعناصر المعمارية البصرية والفراغية والمعاني التي ارتبطت بهذه العناصر وكيف شكلت في مجموعها التكوين العمراني لمدينة الهفوف، كما تقدم الورقة أفكاراً متعددة حول المحافظة على التراث العمراني للمدينة وإمكانية تحويله إلى عمل استثماري يساهم في بناء اقتصاد المدينة بوضعها الحالي.

وقد ارتكزت منهجية البحث على الدراسة الميدانية المعمارية التي اعتمدت على المسح العمراني سواء للنظام التخطيطي العام للمدينة أو تسجيل العناصر المعمارية و تصويرها وأخذ قياساتها، حيث اعتمدت المادة العملية للبحث على خبرة الباحث بمدينة الهفوف أكاديمياً خلال العقدين الأخيرين كون الدراسات المرتبطة بالتراث العمراني تتطلب وقتا طويلاً وخبرة ميدانية (اجتماعية ومعمارية) بالمدينة.

المقدمة:

البحث في قضايا المدينة السعودية وبشكل خاص الوسط التاريخي الذي واجه ضغوطاً حضرية كثيرة خلال العقود الماضية، يمثل أحد الإشكالات العمرانية و الحضرية الأساسية التي تحتاج لها المدينة السعودية بشكل ملح في الوقت الحالي. لقد أدى الضغط الحضري وتواصل التمدن في المدن السعودية إلى تدهور هذا الجزء في المدينة وفقدان تلك المدن بشكل عام لكثير من مخزونها التاريخي العمراني وكثير من التفاصيل الجمالية المصاحبة للعمران التقليدي، خصوصاً خلال العقود الثلاثة الأخيرة (1975-2007م). هذه الدراسة تحاول أن تثير هذه الإشكالية من خلال تناول واحدة من المدن التي مازالت تحافظ علن جزء من نسيجها العمراني التاريخي وهي مدينة الهفوف، الأمر الذي يعطي فرصة عملية للمحافظة على النسيج المادي للمدينة والبحث عن حلول اقتصادية واجتماعية وتقنية تعيد الحياة لهذا الجزء المهم من مدننا، فالمسألة ليست في المحافظة على التراث من

حيث هو منتج مادي، بل يجب إعادة الحياة الاجتماعية الاقتصادية لتلك المناطق وهو أمر يمثل صعوبة كبيرة في وقتنا الراهن(1) .

يمكن أن نعود إلى ما طرحه رفعة الجادرجى حول التراث العمرانى ،فهو يقول:" إن حماية التراث علم قائم بذاته، إضافة إلى كونه واجباً إنسانياً ملقى على عاتق البشرية بأسرها، وليس على الأمم التي تحتضن أمكنة تراثية فقط، وكثيراً ما تكون عاجزة عن ترميمها أو صيانتها أو الحفاظ على معالمها"،. ويؤكد هنا أن "الهدف الإنساني منه هو التوثيق العمراني، أي الحفاظ على العمارة كوثيقة تاريخية تتحول إلى كتاب مفتوح لجميع الناس. ولا تتضمن هذه العملية أية أهداف اقتصادية على الإطلاق[2]. ولعل هذا يؤكد أن المحافظة على الوسط التاريخي ينبغي أن تعبر عن مسئولية جماعية يشارك فيها كل أفراد المجتمع لا على أنها مسئولية المتخصصين وأجهزة الدولة المسئولة عن المدينة والثقافة والتراث بشكل عام وان كانت هذه الأجهزة مسئولة بشكل مباشر.

1-1 لماذا مدينة الهفوف:

يعتبر مجتمع الإحساء أحد أقدم المجتمعات الحضرية في الجزيرة العربية، فقد مر على هذا المجتمع كثير من المدن والقرى. منها، على سبيل المثال، هجر التي اشتهرت بسوقها في الجاهلية وجواثا التي يوجد بها ثاني مسجد في الإسلام والإحساء التي بناها بنو عبد القيس والإحساء التي بناها القرامطة والمبرز والهفوف(3). ودراستنا هذه تركز على العمران البشري لمدينة الهفوف كآخر المدن التي مازالت قائمة حتى الآن في إقليم الإحساء. خصوصاً وأن الكتابة عن تاريخ المدن في هذا الجزء من الجزيرة العربية نادر.

(1) هناك محاولات قليلة لدراسة التراث العمراني في المملكة ويمكن في هذا الصدد الإشارة إلى دارسة النويصر، محمد عبد الله. خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد).- الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1999م.

(2) الجادرجي، رفعة. في سببية وجدلية العمارة.- بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م.- ص44.

(3)يرى الأستاذ عبد الرحمن بن عثمان الملا أن بني سعد من بني تميم (عبد القيس) كان موقعهم في جواثا وكانت تعرف بإحساء بني سعد، وكان فيها أخلاط الناس بينما هجر كانت مدينة العلماء والتجار. أما أحساء القرامطة فقد بنيت بعد ذلك وتطورت إلى أن دخلت أحساء بني سعد فيها. (ملاحظة أبداها عند قراءته للورقة).

لقد تركت الخصائص الجغرافية لإقليم الإحساء بصمات واضحة على أسلوب الحياة لأفراد وجماعات المجتمع الإحسائي عبر الزمن. هذا ما لاحظه (بلجريف) عام 1862م عندما قال: إن "الصناعة والتجارة و الزراعة والفن، كلها تطعمت بالموقع الجغرافي والمصادر المحلية لمنطقة الإحساء"[1]. كما أنه أكد آن مجتمع الإحساء يختلف عن المجتمعات القريبة الأخرى بأنه "أكثر مقدرة على جعل الغريب يشعر أنه في بلده"[2] وقد أرجع هذه الخاصية التي يتميز بها المجتمع الإحسائي للصلات التجارية المتينة والتاريخية مع الدول المجاورة. وقد سجل (بيلي) هذه الملاحظة عندما قال عام 1865م: إن في الهفوف، مقارنة بباقي المدن التي زرتها في المنطقة، "كان هناك مظاهر للبهجة والحركة في المكان"[3].

هذا يجعل مدينة الهفوف من المدن التاريخية المهمة في شرق الجزيرة العربية، فبالرغم من أن هذه المدينة لا يتجاوز عمرها الستة قرون (هناك اعتقاد أن بدايات المدينة تعود للقرن التاسع الهجري) إلا أن المنطقة ذاتها (الإحساء) موغلة في القدم، وقد تميزت عبر تاريخها الطويل ببناء كثير من المدن الكبيرة مثل مدينة الإحساء التي قارنها الرحالة ناصر خسرو في القرن الرابع الهجري بمدينة القاهرة عاصمة الفاطميين آنذاك. هذا يعطي دلالة على أن النسيج العمراني في مدينة الهفوف لا يقف فقط عند حدود بداية المدينة نفسها إذ أنه لابد أن المدينة ورثت كثيراً من أساليب وتقنيات البناء التي كانت موجودة من قبل. مع هذا العمق التاريخي الذي يجمع الموروث المعماري للإحساء. تظل مدينة الهفوف بوسطها التاريخي المعاصر محافظة على جزء كبيرمن العناصر العمرانية لمنطقتها القديمة، إذ إن التشوهات التي حصلت لهذا الجزء من المدينة نتيجة لعمليات الهدم وزحف المناطق التجارية وإهمال الملاك الأصليين لمساكنهم والممارسات الخاطئة للعمالة الوافدة التي سكنت تلك المناطق، لم تؤد

(1) Palgrave, W.G. Narrative of Year's journey through central and eastern Arabic (1862-63), London, vol.2, third edition, 1885p.146.

(2) المرجع السابق، ص142.

(3) Pelly, L, Report on a journey to the Wahabee capital of Riyadh in Central Arabia, Byculla, Thje education society's press, 1866.p.64.

إلى طمس الوسط التاريخي وانهياره بشكل كامل بل إن هناك فرصة كبيرة لتدارك هذا الجزء المهم في المدينة وإعادة الحياة إليه، الأمر الذي قد يكون مثالاً يحتذي يمكن تطبيقه في باقي المدن السعودية التي مازالت تحتفظ بجزء من وسطها التاريخي.

ربما نحن بحاجة لبعث ذلك الإحساس بالحياة التي كان عليها الوسط التاريخي لمدينة الهفوف، خصوصاً وأن جزءاً كبيراً ومهما منه ما زال على قيد الحياة، بل وأن حيا كاملاً، هو الرفعة الشمالية، مازالت تسكنه الأسر السعودية، كما أن أجزاءً كبيرة من الأحياء الأخرى مازالت موجودة، والفرصة مواتية جداً للإبقاء على حياة وسط هذه المدينة العريقة، من الناحية الاجتماعية والاقتصادية بما في ذلك الحرفية، التي تحمل بين طياتها جزءاً مهماً من تراثنا العمراني والاجتماعي – الثقافي الذي نحن اليوم في أمس الحاجة للمحافظة عليه أكثر من أي يوم آخر. هذه الدراسة ستحاول أن تقدم برنامج عمل يمكن أن يعمل على المستوى التوثيقي والنظري وعلى المستوى العملي (المحافظة عمليا على الوسط التاريخي) من خلال تطوير برنامج عمل على كلا المستويين. على أننا يجب أن نذكر أننا هنا نقدم لدراسة كبرى نتمنى أن تنجز في القريب العاجل لإنقاذ وسط الهفوف، وأن الدراسة بشكلها الحالي تصب في هذا الهدف (الشكل رقم1).

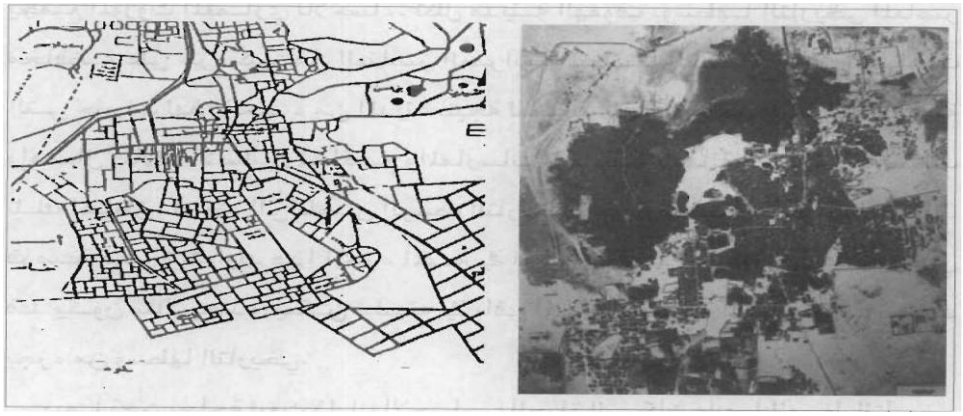

بداية تمدد المدينة في الستينات وسط المدينة مقارنة بتمدد المدينة الحالي

الشكل رقم (1) وسط الهفوف التاريخي

2-1 هدف الدراسة ومنهجيتها:

هذه الدراسة تحاول أن تناقش ثلاث قضايا رئيسة. أولى تلك القضايا هي نشأة الوسط التاريخي وتطوره حتى استقراره نهائياً في منتصف القرن الميلادي الثاني. وهذا يتطلب قراءة تاريخية ومعمارية متأنية للجزء التاريخي للمدينة[1]. آما القضية الثانية فهي القيمة المعمارية للوسط التاريخي وهذا يتطلب إجراء مسح ميداني للعمارة الموجودة حالياً والعمل على تصنيفها. وهذا الجزء الأهم في الدراسة، حيث اعتمد الباحث على مسح ميداني للمدينة القديمة اشتمل على إجراء قياسات متعددة لكثير من المباني والمساكن التاريخية وإجراء مسح بصري شامل للوسط التاريخي مع إجراء مقابلات شخصية متعددة مع سكان المدينة الأصليين والحرفيين الذين قاموا بتنفيذ كثير من المباني المتأخرة في الوسط التاريخي. وأخيراً تركز القضية الثالثة على إمكانية المحافظة على هذه العمارة واضعين في الاعتبار الخصوصية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لمدينة الهفوف.

حتى يستطيع الباحث تحقيق الأهداف الثلاثة للدراسة حاول تطوير منهجية علمية يمكن من خلالها الإلمام قدر الإمكان بتفاصيل التكوين العمراني للوسط التاريخي لمدينة الهفوف. فقد حددت الفترة الزمنية التي تشملها الدراسة منذ نشأة الوسط التاريخي وحتى منتصف القرن العشرين، خصوصاً وأن أي منهجية علمية لدراسة منطقة ما اجتماعياً وتاريخياً يتطلب تحديد الفترة الزمنية والحدود المكانية للدراسة بدقة[2] ولتحقيق الهدف الأول (وهو بناء صورة شاملة لتطور الوسط التاريخي لمدينة الهفوف) استعان الباحث بكل ما كتب حول منطقة الإحساء بشكل عام ومدينة الهفوف بشكل خاص، كما وضع منهجاً لتقييم تلك الكتابات من خلال مقارنتها بالشواهد العمرانية التي ما زالت موجودة في وسط المدينة والتأكد من انسجامها مع الكتابات التاريخية. هذا بالإضافة إلى

(1) اعتمد هذا الجزء على دراسة قام بها الباحث وقدمها لندوة الرحلات إلي شبه الجزيرة العربية.-الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 24-27 رجب 1421هـ- 21-24 أكتوبر 2000م، بعنوان "الخصائص العمرانية والاجتماعية لمنطقة الإحساء في كتب الرحالة الغربيين؛ دراسة تحليلية لنشأة وتطور مدينة الهفوف (1750-1950)".

(2) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:

Brunskill, R. Illustrated handbook for vernacular architecture, London, faber and faber 1971.

الاستعانة بالصور والخرائط الجوية التي سجلت نمو المدينة منذ الخريطة التي رسمها بلجريف في الستينات من القرن التاسع عشر إلى الصور الجوية التي التقطت للمدينة عام 1935م من قبل شركة أرامكو. أما الهدف الثاني (وهو دراسة الخصائص العمرانية للوسط التاريخي لمدينة الهفوف)، فقد اعتمد الباحث على خبرته بالمدينة ودراساته السابقة عنها[1]. على ضوء ذلك تم تطوير إطار منهجي يمكن من خلاله تحديد الخصائص العمرانية التي تحتويها مدينة الهفوف ابتداءً من المباني العامة وحتى التفاصيل المعمارية[2]. أما الهدف الثالث (إمكانية إعادة الحياة للوسط التاريخي) فقد طور على شكل مقترحات وحلول ويمكن اعتباره خاتمة للدراسة.

2- نشأة الوسط التاريخي لمدينة الهفوف:

نحتاج أن نتحدث عن نشأة مدينة الهفوف: لأنها محل خلاف، فالمؤرخ الملا يذكر أن نشأة المدينة كانت في أواخر القرن السابع الهجري وأن أول محلة بدأ البناء فيها في المدينة هي المحلة المعروفة الآن بحي الرفعة الشمالية[3].ربما يدعم هذا الرأي الوصف الذي سجله (سادلير) لمدينة الهفوف في نهاية العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (1818م) فلقد قال: "إن المدينة الرئيسة المحصنة تدعى الهفوف، وحوائطها مبنية من الطين بارتفاع خمسين قدماً، ومحاطة بخندق عميق جاف. ويوجد بالمدينة بوابتان، والمساكن داخل القلعة حالتها متوسطة، ومن ناحية الشرق هناك قرية غير محاطة بسور تقع بين الأراضي المزروعة ومزارع النخيل. (الهفوف)

---

(1) انظر إلى:

Al-Naim, M. (1998) Potentiality of the Traditional House- A case Study of Hofuf, AI Hasa, GCC Folklore Center, Doha, Qatar; Al-Naim, M. (1998) Continuity and Change of Identity in the Home Environment: Development of the Private House in .Hofuf, Saudi Arabia, Unpublished Ph.D. Thesis, Newcastle, University of Newcastle Upon Tyuc, Al-Naim, M. (2006) The Home Environment in Saudi Arabia and Gulf States (Vol. 1) Growth of Identity Crises and Origin of Identity. (Vol. 2) The Dilemma of Cultural Resistance, Identity in Transition. CRiSSMA Working Paper N.7, Milan, Italy, Pubblicazioni dell'I.S.U. Uuiversita Cattolica.

(2)النعيم ، مشاري عبد الله" محاولة لتطوير إطار عملي لتوثيق العمارة التقليدية: دراسة لجزيرة تاروت في المملكة العربية السعودية"، المأثورات الشعبية.- قطر: مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، العدد 40، أكتوبر، 1995م،ص 7-24.

(3) الملا، عبد الرحمن. تاريخ هجر.-الإحساء: مكتبة التعاون الثقافي، الجزء الأول، 1990م/ 1410هـ، ص 204-205.

وضواحيها لا يصل تعداد سكانها خمسة عشر آلف ساكن[1].

حيث ظل حي الرفعة الشمالية قرية ملاصقة لمدينة الهفوف التي كانت عبارة عن قلعة كبيرة أسسها الجبريون، حكام الإحساء في القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجري. وهذا ما يشير إليه الأثر الباقي من تلك المدينة (مسجد الجبري) [2]. كما أننا لا حظنا من دراسة الصور الجوية لمدينة الهفوف وخصوصاً الصورة التي التقطت للمدينة عام 1935ا م أن هناك حيا محاطاً بأسوار داخل المدينة يمثل بحد ذاته مدينة مستقلة، هذا الحي هو "الكوت" الذي كان مقراً للحاكم وبه يقع مسجد الجبري " الشكل رقم (2)". مما يجعلنا نؤكد أن "الكوت" كان هو المدينة التي أنشأها الجبريون في نهاية القرن الثامن الهجري والذي امتد بعد ذلك جنوباً ليكون حي "النعاثل" وذلك لحاجة المدينة للتمدد[3].

(1) sadleir, G.F. (1866) Diary of a journey across arabia (1819), bombay (reprinted with an introduction by F.M. Edwards, Cambridge: The oleander press, 1977),p,72.

وقد ذكر اسم الهفوف بهذا الشكل "فوف" "Foof".

(2) والسر في وجود المسجد فقط كأثر للجبريين هو احترام المسلمين لأماكن العبادة وخصوصاً المساجد. انظر مثلاً لما أورده (فييث) عن مسجد ابن طولون في المدينة التي أسسها في القاهرة والذي له تجرؤ الخلافة العباسية المساس به عندما قضت على دولته. فيبث، جاستون القاهرة: مدينة الفن والتجارة، كتاب اليوم، العدد 308 .- القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ص 16.

(3) ويدل على ذلك أن الأسر التي سكنت الجزء الشمالي من حي النعاثل والمحاذي لجنوب حي الكوت هم من سكان الكوت أصلاً.

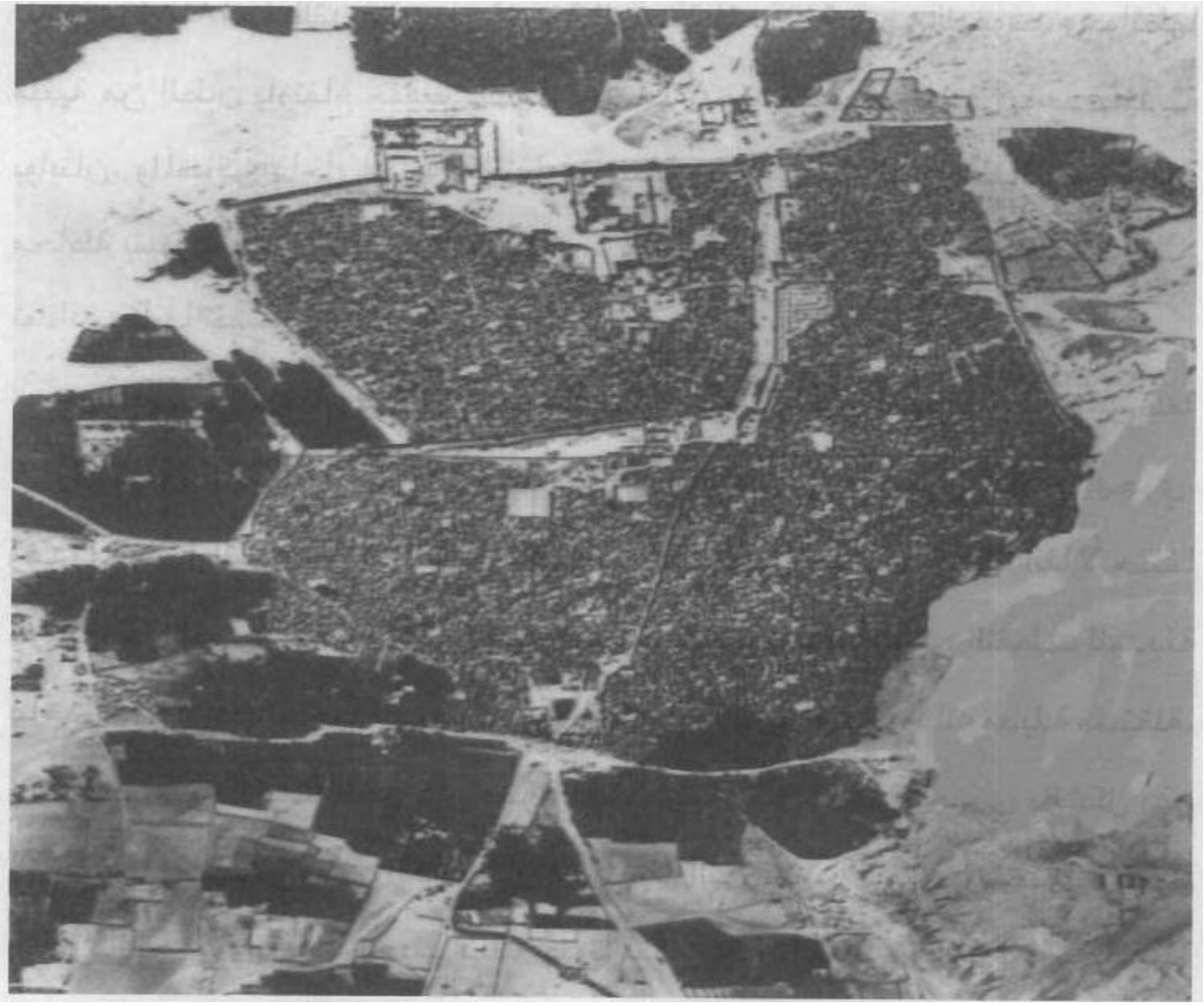

الشكل رقم (2) صورة جوية معدلة تبين الأحياء التاريخية في مدينة الهفوف.

المصدر: خارطة جوية عام 1935 (أرامكو).

أما المدينة التي شاهدها (سادلير) فنعتقد أنها كانت "الكوت" وربما بدايات حي "النعاثل" بينما ظلت الرفعة الشمالية والتي كانت تدعى "الرقيات" قرية تقع وسط المزارع المحطة بالهفوف من الشرق[1]. خصوصاً وأن (سادلير) ذكر أن المدينة التي رآها كانت محاطة بخندق وهو ما يميز حي "الكوت" الذي ظل محاطاً بخندق حتى بعد أن امتدت المدينة ونمت في القرن التاسع عشر، وقد ظل هذا الخندق محيطاً بالكوت حتى دفن فى نهاية

(1) ما زال اسم "الرقيات يطلق على أقدم فريج في الرفعة الشمالية".

الستينات الميلادية من القرن العشرين[1]، ومن المؤكد أن المدينة نمت بعد ذلك لتشكل أحياءها الأربعة المعروفة الكوت والنعاثل والرفعة الشمالية والرفعة الجنوبية (تاريخياً يعتبر الرفعة حياً واحداً ينقسم إلى فريق شمالي وآخر جنوبي وهوما ذكره أغلب الرحالة الغربيين وكذلك ما أيده سكان الهفوف ولكننا سوف نستخدم المسميات الشائعة في الوقت الحاضر) وبعد ذلك حي الصالحية الذي يعتبر أول حي مخطط الجزيرة العربية (خطط عام 1324هـ/ 1904م) [2].

ولو حاولنا تحليل نمو المدينة منذ نشأتها وحتى اكتمال شكلها التاريخي (أي تكون المركز التاريخي للمدينة الحالية) فسوف نخلص إلى أن المدينة مرت بست مراحل تاريخية. وتصنيفنا لهذه المراحل الست اعتمد على الأوضاع السياسية التي مرت بها المدينة وتوافر الشواهد التاريخية والعمرانية التي ظهرت في كل مرحلة. وقد حاولنا تتبع التغير في كل مرحلة تاريخية حتى نتيح للقارئ تصور الأطوار العمرانية التي مرت بها الهفوف. تبدأ هذه المراحل من الاحتمالات المختلفة لنشأة المدينة مروراً بفترة بزوغ الهفوف كمركز حضري في إقليم الإحساء وتمدد المدينة حتى تكون المركز التاريخي الموجود حالياً وسط المدينة وبعد ذلك نمو المدينة مرة أخرى خارج المركز التاريخي.

(1)لقد قام (وليم جولنر) William Goellner بالبحث عن بقايا لقواعد مبانٍ قديمة عندما هدم سور الكوت ولكنه أكد أنه لم يجد أي دلائل على أن هناك مدينة قديمة (خصوصاً مدينة الإحساء القديمة التي بناها القرامطة في القرن الرابع الهجري) قامت على أنقاضها مدينة الهفوف، مما يؤكد أن مدينة الهفوف أنشئت في فترة كانت فيها مدينة ا لأحساء القديمة عامرة. وموقع أحساء القرامطة هو قرية البطالية (وقد كانت أحد الأحياء في المدينة) الموجودة الآن كما يؤكد ذلك الأستاذ عبد الرحمن بن عثمان الملا. انظر إلى:

Goellner, W.A. (no date) (Written in late 1970s) "The Hofuf Suqs and the Jebel Al- Qara Area of the Al-Hasa Oasis, Saudi Arabia", Unpublished Report, Dhahran, ARA-MCO,p.8.

(2)النعيم، مشاري. "دروس ومبادئ من البيئة التقليدية: دراسة لحي الصالحية بمدينة الهفوف بالمملكة العربية السعودية"، المأثورات الشعبية. العدد 33.- قطر: مركز التراث لدول الخليج، 1994م، ص 7-29.

2-1 نشأة المركز التاريخي:

لقد تطرقنا إلى بعض الأفكار حول نشأة الوسط التاريخي لمدينة الهفوف وتطورها ولكننا ما زلنا بحاجة إلى إثارة كثير من الأسئلة حول الهفوف والظروف السياسية والاجتماعية التي زامنت نشأة المدينة، ويمكن أن نخلص إلى فرضيتين حول ظهور مدينة الهفوف. الأولى هي، ما ذكرناه سابقاً، أن المدينة نشأت لتخدم أغراضاً دفاعية لحماية الحاكم. وفي تاريخ المدن العربية – الإسلامية كثير من الأمثلة المشابهة التي نزح فيها الحاكم من العاصمة إلى مدينة أخرى أكثر أمناً بعد أن اعترى العاصمة الوهن وأصبحت مرتعاً للمخربين .وأشهر مثال هو مدينة سامراء في العراق التي بناها المعتصم لتكون مقراً لحكمه بدلاً من بغداد. أما الفرضية الأخرى فهي، أنه ربما كانت الهفوف قرية صغيرة مثل تلك التي رآها (سادلير) وسط المزارع ثم كبر حجمها لأن موقعها كان صحياً وتحيط بها أراضٍ فضاء مكنت هذه القرية من النمو وبعد ذلك اتخذها الحاكم مقراً للحكم بدلاً من مدينة الإحساء التاريخية التي أصابها الوهن وأخذت تندثر شيئاً فشيئاً[1]. هذه الفرضية يؤيدها (فيدال) الذي قال: إنه يذهب به الظن أن اسم الهفوف أطلق " على مساحة تشغلها الآن المدينة حيث كان بعض أغنياء الواحة يملكون بساتين نخيل قليلة وبيوتاً ريفية يأوون إليها في الصيف أو للاحتفاء بالأصدقاء خلال فترات المساء طوال أيام السنة ومن ثم أطلق على المكان (البارد وكثير النسمات) اسم الهفوف وقد أصبح فيما بعد مسكناً دائماً، ونما 0 حجمه وأهميته الحالية مع الزمن[2]. إلا أننا نميل للنظرية الأولى (دون أن نلغي أهمية تأثير الموقع الطبيعي للهفوف)؛ لتوفر كثير من

(1)حتى أن اسم الهفوف مشتق من (هف) فيقال هفت الريح إذا سمع صوت هبوبها، .يقال ريح هفهافة أي طيبة. وقد سميت الهفوف بهذا الاسم، كما يشير المؤرخين، لتهافت الناس عليها، أي رغبتهم في سكناها نظراً لما تتمتع به من ريح طيبة ونسيم عليل ومتحرك في منطقة يركد الهواء فيما حولها في أثناء الصيف لذلك وصفها أحد الشعراء بقوله:

مهلاً مهفهفة الهفوف من هجر أنغمة العود ذي أم رنة الوتر

عبد الله، سيدة علي. التطور السياسي والاجتماعي لإقليم الإحساء بين عامي 1870-1932م، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لمعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، 1988مك، ص37. وكذلك العبد القادر الأنصاري، محمد. تحفة المستفيد بتاريخ الحساء في القديم والجديد. – الإحساء: مكتبة الحساء، 1960/1379م. (الطبعة الثانية 1982/1402م)، ص31. والأنصاري يؤكد أن جميع المهاجرين إلى الإحساء من جميع الجهات الخارجية لا يرغبون إلا في سكنى الهفوف؛ لأنها كانت العاصمة ومركز التجارة والبيع والشراء.

(2) فيدال، ف. ش. واحة الأحساء؛ ترجمة عبد الله السبيعي، 1990/1410م (لم يذكر اسم الناشر)، ص 101.

الأدلة التاريخية والشواهد الأثرية التي تشير إلى أن الهفوف نشأت مدينة جديدة اتخذها الحاكم مقراً له، بينما ظلت الإحساء مدينة يسكنها عامة الناس وبعد ذلك بدأ الناس في النزوح إلى الهفوف. وربما الملاحظة التي ذكرها أبو الفدا عام 732هـ حول مدينة الأحساء التاريخية تؤكد هذا الرأي[1]. لقد قال إن الإحساء أصبحت مدينة صغيرة دون أسوار، كما أنه أشار إلى أن الحاكم انتقل إلى مكان آخر[2]. ومن الواضح أن اسم الهفوف لم يكن معروفاً فى ذلك الوقت، فمن قول أبي الفدا أن الحاكم انتقل إلى مكان آخر يدل على أن هناك موقعاً جديداً اتخذه الحاكم لم يتحول بعد إلى مدينة معروفة. ودون شك لا بد للتحولات السياسية أن تترك أثرها على المدينة وتدفع بها إلى النمو أو التراجع حسب تلك التحولات وهو ما سنقوم بتحليله في الجزء التالي من الدراسة[3].

2-2 مرحلة التوسع والبناء الداخلي:

أن كل مركز حضري لابد أن ينمو ويتمدد، لذلك فقد ظلت الهفوف في حالة نمو مطرد حتى وقتنا الحالي، حيث لم تعد مقراً للحاكم فقط، بل نعتقد أن الهجرة المتسارعة إلى المركز الحضري الجديد أجبرت الحاكم أن يتيح لعامة الناس السكنى في المدينة، مما أدى إلى تمددها. ويمكن أن نرجع هذا النمو إلى نهاية عصر الجبريين في منتصف القرن التاسع الهجري وبداية العصر العثماني الأول (957هـ-1082هـ) [4]. وفي تلك الفترة وبعدها تحولت الهفوف فيها من مجرد قلعة عسكرية تخدم أغراضاً دفاعية محضة إلى مدينة مزدهرة جذبت كثيراً من السكان وتوسعت بشكل كبير. لقد أنشأ العثمانيون عدة مبانٍ متجاورة تخدم أغراضاً دينية واجتماعية وعسكرية[5]، إلى

(1) ونقصد بمدينة الإحساء التاريخية هي تلك المدينة التي أسسها أبو طاهر الجنابي القرمطي في القرن الرابع الهجري.

(2)الملا، عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره 1990-1410م، ص202.

(3)يمكن أن نفهم أثر التحولات السياسية على المدن العربية/ الإسلامية من الدراسة القيمة للدكتور خالد عزب. دار السلطنة في مصر: العمارة والتحولات السياسية .- القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة، 2007م.

(4)نخلة، محمد عرابي . تاريخ الإحساء السياسي.- الكويت، ذات السلاسل، 1980م، ص26. ويذكر أن الدولة العثمانية أرسلت جيشاً لإيقاف المد البرتغالي على سواحل الخليج العربي وكان ذلك الجيش بقيادة محمد باشا فروخ.

(5)غباشي، عادل نور. دراسة لبعض العمائر العثمانية بالهفوف في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، بحث ماجستير غير منشور، جامعة أم القرى، 1405-1406هـ، ص 31-33.

الشرق من الجزء الذي شيده الجبريون وانتشرت حول تلك المباني المساكن التي سكنها الضباط والجنود بالإضافة إلى رجال الدولة الذين انتقلوا إلى الهفوف بعد الاستيلاء على منطقة الإحساء.

على أن اسم "الهفوف" لم يظهر في تلك الفترة وظلت المدينة عبارة عن قلعة كبيرة يسكنها الحاكم العثماني، فأغلب الوثائق العثمانية تشير إلى الهفوف بالإحساء، بالرغم من أنها تذكر "المبرز" كمدينة أخرى غير الإحساء[1]. والمباني التي بناها العثمانيون في الهفوف بعضها ما زال قائماً، مثل مسجد الدبس الذي بناه القائد العثماني محمد باشا فروخ عام 963هـ[2]. وكذلك مسجد علي باشا[3] الذي يقع داخل القصر المسمى بقصر إبراهيم عام 979هـ/ 1571م[4]، وكذلك مسجد القبة التي بنيت بجوار مسجد على باشا عام 1019هـ[5].ومسجد شبيب (1036) الذي بناه على باشا بن لاوند البريكي[1].

(1) Mandaville, J.E. (1970)" The Ottoman province of Al-hasa in the sixteenth and seventeenth centuries', Journal, of the American oriental society, 90,3,pp.486-513.

وينقل عن إحدى الوثائق العثمانية المؤرخة في (23شعبان 967هـ/19مايو1560م) أن سعدون شيخ بني حميد من بني خالد قام باحتلال مدينة المبرز وجعلها قاعدة لحكمه، كما أنه هدد باحتلال المناطق المجاورة وهو يحاول الآن الاستيلاء على القلعة (ص489).ونحن نعتقد أن القلعة هي الهفوف والتي كانت فقط حي "الكوت" في زمن العثمانيين هذا ما تؤكده الآثار العثمانية الباقية حتى الآن في هذا الحي. وربما ظهور اسم الهفوف في نهاية العهد العثماني، أي في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي وهذا ما يفسر ظهر اسم الهفوف في الوثائق العثمانية في ذلك الوقت (انظر ص 501) . والشيء المؤكد أن مسمى "الكوت" معروف قبل قدوم العثمانيين إلى المنطقة: لأن كلمة "كوت" تعني بالبرتغالية قلعة وقد كان السبب الرئيس لقدوم العثمانيين إلى المنطقة هو وجود البرتغاليين في المنطقة لم يمكن الرجوع للمقال المذكور أعلاه والذي تحدث بالتفصيل عن الصراع العثماني البرتغالي على المنطقة). كما أن الدكتور عبد الله السبيعي (في ترجمته لكتاب واحة الإحساء) ذكر أن "كلمة الكوت ليست عربية الأصل ولعلها تكون برتغالية أو هندية، وتعني القلعة أو المكان المحصن. وتطلق على المكان المعد لإقامة الجند والإدارة. وأول ما عرفت في الإحساء عندما استولى العثمانيون على الإحساء في سنة 957هـ اتخذوه (حي الكوت) مكاناً ومقراً لجندهم فبنوا قلعة عرفت باسم الكوت. وبعد اختيار مكان الكوت من قبل العثمانيين وتحصينه بسور قوي منيع كثر السكان فيه وحوله"، فيدال، ف. ش. مرجع سبق ذكره، 1990/1410م،ص 109. (انظر للهامش) .

(2) العبد القادر الأنصاري، محمد، مرجع سبق ذكره، 1379هـ/1960م، ص 121-122. وقد ذكر المؤلف أنه يوجد بالمسجد حجر مكتوب عليه تاريخ التشييد.

(3) نسبة إلى الحاكم العثماني في تلك الفترة على بن أحمد بن لاوند البريكي. الشباط، عبد الله (1409هـ/1989م) صفحات من تاريخ الأحساء. – الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، ص 122.

(4) غباشي، عادل نور، مرجع سبق ذكره، 1405-1406هـ، ص 37. وسمي قصر إبراهيم بهذا الاسم نسبة إلى إبراهيم بن عفيصان الوالي السعودي سنة 1216هـ؛ لأنه قام بتتميمه وتحصينه. الشباط، عبد الله، مرجع سبق ذكره، 1989/1409، ص56.

(5) الملا، عبد اللطيف، لمحات من الحياة التعليمية في الأحساء من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الهجري.- الأحساء؛ جمعية الثقافة والفنون، ص 23-24.

لقد وضع (أندريه ريمون) عدة نظريات لنمو المدن الإسلامية في العهد العثماني، فهناك نمو المدن من الداخل عن طريق التكثيف وملء الفراغات التي كانت موجودة في النسيج العمراني كما حدث في تونس في القرنين السابع عشر والثامن عشر. أما النظرية الثانية فهي تجزئة المساكن القائمة نتيجة الضغط السكاني كما حصل في حلب، وأما النظرية الثالثة فهي إمكانية امتداد المدينة على شكل ضواح خارج أسوارها كما حصل في القاهرة ودمشق[2]. والذي نعتقده أن الهفوف في العهد العثماني الأول اعتمدت على التكثيف وملء الفراغات التي كانت موجودة داخل أسوار المدينة وان كان هناك إمكانية لضم بعض الأحياء التي ظهرت بالقرب من القلعة خصوصاً وأن العثمانيين اهتموا ببناء الأسوار في تلك الفترة لخدمة أغراضهم الحربية التي استمرت طليلة فترة حكمهم؛ على أن المدينة ظلت محصورة داخل حي "الكوت" الموجود حالياً ولم تتمدد بشكل كبير إلا بعد تلك الفترة.

2-3 مرحلة النمو والتمدد:

لقد استمر تمدد مدينة الهفوف وتعاظم دورها السياسي والاقتصادي وأصبحت مركزاً لإقليم الإحساء إلا أنها ظلت محصورة داخل القلعة القديمة. وقد تكون القلعة في ذاتها تمددت وضمت مناطق جديدة إلى داخل أسوارها إلا أن الهفوف لم تشكل أحياء جديدة إلا في نهاية القرن الثاني عشر الهجري. في تلك الفترة التي حكم فيها بنو خالد المنطقة (1088هـ- 1208هـ) [3]،نعتقد أن المدينة امتدت لتشمل حي "الكوت" و"النعاثل"، يتضح هذا من وصف الرحالة الدنماركي (نيبور) Niebuhr عام 1765م الذي قال: إن مدينة الهفوف كبيرة وأنها

(1) الأستاذ عبد الرحمن بن عثمان الملا.

(2) ريمون، أندريه. المدن العربية الكبرى في العصر العثماني؛ ترجمة لطيف فرج.- القاهرة: دار الفكر للنشر والتوزيع،1991م، ص 47-48.

(3) في تلك الأثناء بدأت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الظهور وقويت بعد التحالف مع الإمام محمد بن سعود وظهور الدولة السعودية الأولى التي قضت على حكم بني خالد في الإحساء عام 1208هـ/1792م. بن بشر، عبد الله. عنوان المجد في تاريخ نجد.- المملكة العربية السعودية: وزارة المعارف، 1394هـ، ص129-137.

قاعدة حكم شيخ بني خالد[1].

هذا يؤكد أن اسم "النعاثل" كان معروفاً منذ القدم وان لم يكن قد اتخذ بعد شكل الحي المتكامل عندما زار (سادلير) المنطقة عام 1818م ، مما جعله يتجاهل وجود النعاثل. وهذا أمر معروف أن يتجاهل الرحالة في مذكراته الأماكن غير المهمة وهذا حدث، على سبيل المثال، في بداية القرن العشرين الميلادي عندما تجاهل كل من (لوريمر عام 1908م) و (مكي عام 1924م) و(شيزمان 1926م) ذكر حي الصالحية (الحي الجديد في مدينة الهفوف) ، بينما ذكره (فلبي عام 1922م) [2] واعتقادنا أن النعاثل كان موجوداً عندما زار (سادلير) الهفوف يؤيده الوصف الذي وصف به (بلجريف) حي "النعاثل" في الستينات من القرن التاسع عشر(1862م) عندما ذكر أنه أكبر حي في المدينة، لقد قال إن النعاثل:

"أكبر حي، إنه يشكل بالتأكيد نصف المدينة، .ويكمل شكلها البيضاوي. فيه يمكن أن ترى كل أشكال المساكن- الغنية والفقيرة، العالية والمنخفضة، القصر والعشة. وهنا كذلك (كما هو موجود الرياض)، ولكن بالقرب من الكوت، السياسة الجيدة (للإمام)فيصل(بن تركي) في بناء المسجد الكبير، حيث الأقواس المغربية، والأروقة الخفيفة، الأسطح المطلية الناعمة، والأرضية ذات الحصير الممدود"[3]. من هذا الوصف يتأكد لدينا أن حي "النعاثل" كان موجوداً في نهاية القرن الثامن عشر وربما ظل دون أسوار عندما زاد (سادلير) الهفوف، وبعد

(1) نخلة، محمد عرابي، مرجع سبق ذكره،1980م، ص21.

(2) Lorimer, J. (1908) Gazetteer of the Persian Gulf 'Oman and Central Arabia', Vol. II, Calcutta, Superintendent Government Printing. India: Philpy. B. (1922) The Heart or Arabia; A Record or Travel & Exploration. London, constable and company LTD, vol.1. p. 27; Makie, J B (1924) "Hasa: An Arabian Oasis", Geographical Journal, Vol. LXIII. pp 189-207: Cheesman. O.B.E (1926) In Unknown Arabia. London, Macmillan and Co .. Limited, p. 73

فلقد وصف (مكي) الهفوف بقوله: إنها " مقسمة إلى ثلاثة أحياء رئيسية، الكوت والرفعة والنعاثل. الرفعة والنعاثل يوجد بهما مساكن التجارة والمتاجر وكل شيء ما عدا الموظفين الحكوميين،وخاصة رجال الحاكم وبعض الحرفيين والآخرين والذي يمكن لحي (الكوت) أن يكون قائماً بذاته في حالة المشاكل" ص197. أما (شيزمان) فقد قال " خلف السوق bazar يقع حي الرفعة، الجانب الشرقي من المدينة، وبه بعض مساكن التجار والخرائب".

(3) Palgrave, W.G. (1885)Op. Cit., P.151.

لقد ذكر اسم النعاثل بهذه الصورة " النعاثر" Na'athar

ذلك أصبح جزءاً من المدينة في العهد السعودي الأول. هذا ما يؤكده وجود مخيم دائم للبادية في جنوب غرب حي "النعاثل" يدعى "الرقيقة" والذي وصفه (لوريمر) عام1908م بأنه: " مخيم كبير يسكنه البدو الفقراء بشكل دائم، فهناك 500 عائلة تسكن بشكل دائم، و 1000 عائلة أخرى تضاف إلى هذا العدد فى فصل الصيف "[1].

مما يجعلنا نؤكد أن حي "النعاثل" استمر، ولفترة طويلة من الزمن، المقر المؤقت لكثيرين حتى تجد الأسرة مقراً دائماً لها، على أن البعض استقر في "النعاثل" بشكل دائم، مما جعل هذا الحي يمتد ويصبح أكبر حي في المدينة خلال القرن التاسع عشر.

يؤكد ذلك (بلجريف) عندما قال "النعاثل": "يسكن كثير من التجار ورجال الأعمال، وكذلك الأغراب من فارس وعمان والبحرين ومن الحريق كذلك ومن قطر أخذوا لأنفسهم مساكن (في هذا الحي)" [2]. ومن المؤكد أن حي " النعاثل" تحول خلال القرن التاسع عشر من مجرد حي فقير إلى أن أصبح حياً متميزاً يشكل نصف المدينة كما صور ذلك (بلجريف). لقد كان للحكام السعوديين في تلك الفترة وخصوصاً الإمام فيصل بن تركي أعظم الأثر في نمو الهفوف بشكل عام والنعاثل بشكل خاص. فلقد طور الحي وبني فيه الجامع الكبير الذي كان بحق

---

(1) Lorimer, J. (1908) Op., Cit., P.650.

,قد مر هذا المخيم بكثير من التغيرات في عهد الملك عبد العزيز (طيب الله ثراه) حيث تحولت كثير من الخيام إلى مساكن ثابتة. يؤكد ذلك (فيدال) الذي لاحظ هذا التحول عام 1952 م فقال: في الوقت الحالي، ظهر حي سكني آخره الهفوف ونما بشكل ملحوظ. هذا الحي هو الرقيقة، مخيم البدو السابق الذي يقع بمحاذاة السور الجنوبي الغربي للهفوف. الرقيقة كحي منتظم ربما لا يزيد عمره على خمسة عشر عاماً حتى وان كان هناك بيوت برستج (البيوت المصنوعة من سعف النخيل) متناثرة موجودة منذ فترة طويلة".

Vidal, Es. (1955) the Oasis of Al-Hasa, Dhahran, Saudi Arabia, Arabian American Oil Co.,P.93.

لقد ذكر فيدال كذلك كيف تحول مخيم البدو في "الرقيقة" إلى مساكن دائمة. لقد قال:

"الحدود الجنوبية والغربية (لمدينة الهفوف) غير معروفة. يبدو أن هذا الحي تطور بصورة تجمعية غير منتظمة، تبدأ من نقطة بئر الماء. فأي واحد يمر بحي الرقيقة من الجنوب أو الغرب، فإنه سيواجه أولاً سلسلة من الخيام المنصوبة على طول حواف الحي. وعندما يتقدم إلى الوسط، فإنه سيرى سلسلة من البيوت من المجمعات السكنية المبنية حوائطها من الطين والحجر الجيري لتشكل أفنية يوجد بها عدد من البرستجات (جمع برستج).وفي المنطقة المركزية للحي، استبدلت البرستجات ببناء طابق أسمنتي دائم" ص94.

(2) Palgrave, W.G. (1885), Op.Cit,p.152.

تحفة معمارية، هذا الجامع بني فيه الجزء الشمالي من حي "النعاثل"، وهو الجزء المحاذي لحي الكوت والذي يعتقد أن بداية النعاثل انطلقت منه عندما بدأ البدو الرحل والمهاجرون بالاستقرار فيه، كما أنه الجزء الذي تسكنه الأسر التي نزحت عن الكوت في القرن الثاني عشر الهجري.

2-4 مرحلة الاستقرار وتكون المركز التاريخي:

لقد نمت مدينة الهفوف لتكتمل أحياؤها الأربعة كما رسمها (بلجريف) عام 1862م" الشكل رقم (3) الذي ذكر بأن الهفوف " ذات شكل بيضاوي كبير وأن الميدان العام على شكل مستطيل بطول 300 ياردة بينما لا يتجاوز عرضه ربع طوله ويقع عند التقاء أحياء المدينة الثلاثة[1]. ويرجع هذا النمو السريع للمدينة الذي تضاعف ثلاث مرات إلى الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي شجع الهجرة إلى منطقة الإحساء من وسط الجزيرة والمناطق الأخرى، فقد ذكر (لويس بيلي) الذي مر بالهفوف عام 1865م، أنها مدينة كبيرة وأن منطقة الإحساء تمثل "أكبر مركز تجاري للدولة السعودية"[2]. فلقد كان للسياسة العمرانية التي تبناها الإمام فيصل بن تركي لإعمار مدينة الهفوف تأثير كبير على نمو وتطور المدينة، فقد قام بإنشاء كثير من المباني العامة وعلى رأسها المسجد الكبير بحي النعاثل. وفي الواقع آن هذه السياسة تواصلت (كما سنرى) في عهد الملك عبد العزيز بعد ذلك بأربعة عقود[3].

---

(1) Palgrave, W.G. (1885), Op. Cit., P.149.

(2) Pelly, L. (1866), Op. Cit., P.63.

(3) فلقد ساعد نمو المدينة وتمددها خلال القرن التاسع عشر .جود الهفوف على مفترق الطرق التجارية المهمة ووجود المزارع والمياه العذبة التي يتزود بها المسافرون من الخليج العربي ووسط آسيا والعراق إلى وسط وجنوب الجزيرة والحجاز. انظر إلى:

Winterhalter, C.P. (1981) Indigenous Housing Patterns and design principles in the eastern province of Saudi Arabi, Unpubished ph.D. Thesis, Zurich, Swiss federal Institute of teehnology,p.42.

ومما لا شك فيه أن هذه الطرق كانت لها أهمية كبرى لانتشار السكان والنمو المطرد الذي طرأ على المدينة وخاصة أنها كانت تتميز بقرب مينائها البحري(العقير) مما جعلها مزدهرة تجارياً . وكما يشير الموسوى، فقد أدرك القدماء أهمية الطرق البرية والبحرية بالنسبة لحيات المدينة، لذلك نجد أن أغلب المدن الحية كانت وما زالت تتمتع بشبكة طرق إستراتيجية تضمن لها النمو. الموسوي، مصطفى. العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية

2-5 نمو المدينة خارج المركز التاريخي:

أما المرحلة الخامسة فهي المرحلة التي حكم فيها العثمانيون الإحساء (1288هـ-1331هـ/ 1871م-1913م)، وهي مرحلة غير مستقرة عاشتها المدينة. ولكن المدينة ظلت محافظة على شكلها التاريخي يتضح هذا من وصف (لوريمر) للهفوف عام 1908م والذي قال: إنها "على شكل مستطيل بطول ميل إلى ميل ونصف من الشمال إلى الجنوب وعرض نصف ميل"[1]. على أننا لابد أن نشير أولاً إلى تأسيس بلدية الأحساء عام1320هـ/ 1900م[2]، وكذلك إلى ظهور حي "الصالحية" وهو الحي الخامس في المدينة القديمة والذي خطط عام 1324هـ/ 1904م، فهذان الحدثان يمثلان إشارة واضحة إلى التحولات الإدارية للمدينة العربية بشكل عام، فقد كان هناك تأثير غير مباشر بما حدث في أوربا بدأ يظهر في الدولة العثمانية خصوصاً عام 1838م مع إصدار المجلة العدلية وبداية ظهور التنظيمات التي تحكم النمو العمراني[3].

الإسلامية .- العراق: وزارة الثقافة والإعلام، درا الرشيد، 1982م، ص208.

(1) Lorimer, J., (1908), Op. Cit., P. 745.

(2) السبيعي، عبد الله. اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاجتماعية في المنطقة الشرقية (1930-1960م)، (بدون ذكر اسم ومكان الناشر)، 1987م، ص 174. ولقد انحصر دور البلدية في فض المنازعات بين الناس والنظافة العامة.

(3) بن حموش، مصطفى. جوهر التمدن الإسلامي: دراسات في فقه العمران .- بيروت: دار قابس، 2006م.

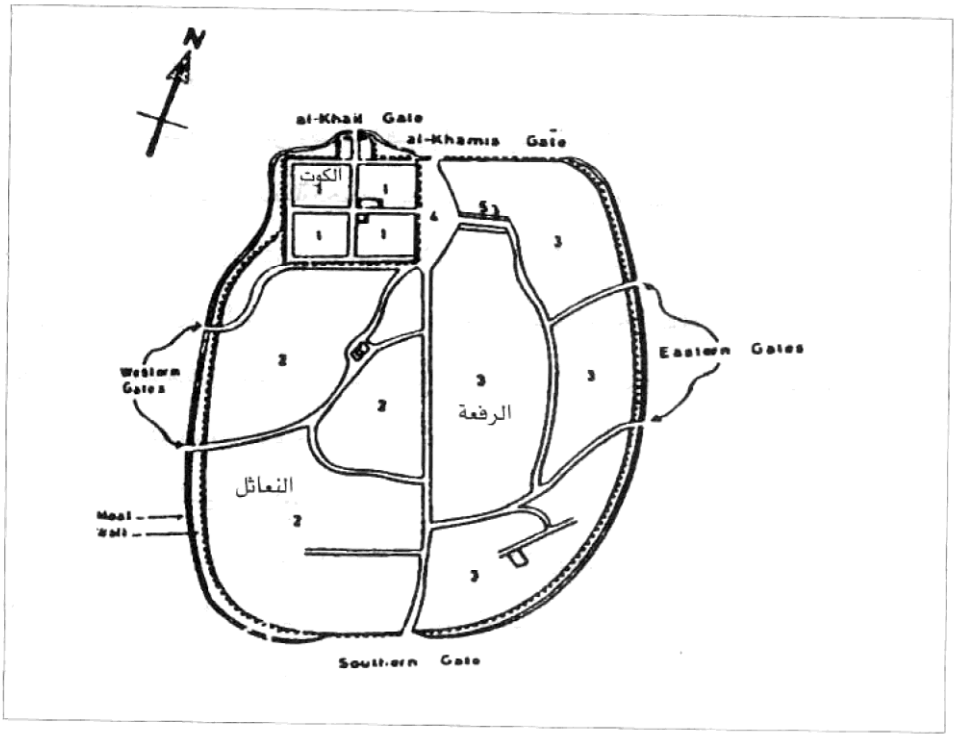

الشكل رقم (3) الهفوف كما رسمها بلجريف عام 1862م.

وفي الحقيقة فإن حي الصالحية لم ينم إلا بعد استعادة الملك عبد العزيز للأحساء عام 1331هـ/ 1913م، خصوصاً وأن السنوات الأولى من الحكم السعودي وضع فيها الملك عبد العزيز خطة لإعادة إعمار مدينة الهفوف[1]. يتضح هذا من التجاهل الكامل لهذا الحي من قبل (لوريمر)، مما يعطي انطباعاً أن سكان "الصالحية في ذلك الوقت من القلة إلى درجة أنهم لم يشكلوا بعد مفهوم الحي . . ويرجع ذلك إلى انعدام الآمن قبل عام 1331هـ، وخوف الناس من العيش خارج أسوار المدينة[2]. بينما تظهر الخارطة التي رسمها (ديكسون) للهفوف عام 1920م[3]، حي "الصالحية" كأحد الأحياء الكبيرة ، فقد انتقل السكان " إلى الصالحية" بعد

(1) Cheesman, O.B.E.(1926),Op. Cit.,

(2) لقد أكد الشيخ أحمد بن علي المبارك للباحث أن أول مسكن في الحي أنشئ عام 1324هـ/ 1904م، وأن مجموعة من الأسر التي كانت تسكن حي الرفعة الجنوبي انتقلت إلى الصالحية بعد ذلك (مقابلة شخصية في 1997/7/19م). ولكن هذا لم يجعل (لوريمر) يلاحظ وجود الصالحية.

(3) Dickson, H.R.P.(1949) The Arab of the Desert: A Glimpse into Badawin Life in Kuwait

استعادة الملك عبد العزيز للإحساء واستتباب الأمن في المنطقة. يتضح هذا من وصف (فلبي) للهفوف عام 1922م بقوله: "المدينة بمساكنها الـ 6000... تمثل أكبر مدينة تحت سيطرة ابن سعود ...، وأنها تقريباً ذات شكل مستطيل ومحاطة كلياً بأسوار في ذات ارتفاعات مختلفة ... وتتكون من ثلاثة أقسام واضحة، الكوت والرفعة والنعاثل، والتي يمكن إضافة ضاحية الصالحية إليها[1]، كما أنه أشار "إلى الصالحية" في مكان آخر بأنه حي "يقع خارج أسوار المدينة في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة، وهو نسبياً نمو حديث"[2].

2-6 بداية المدينة الحديثة (1913-1950)

وبالرغم من امتداد الهفوف خارج مركزها التاريخي في مطلع القرن العشرين إلا أنه لا يمكننا اعتبار ذلك النمو بداية للمدينة الحديثة، فالمدينة الحديثة لم تأخذ شكلها إلا بعد استعادة الملك عبد العزيز للإحساء. فعلى سبيل المثال، كما ذكرنا سابقاً، لم يأخذ حي الصالحية شكله كحي سكني إلا بعد استعادة الإحساء عام 1913م، على الرغم من أن الحي خطط عام 1904م. وقد مرت الهفوف في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين بتغيرات عمرانية واقتصادية كبيرة خصوصاً في حي "الكوت" وقلب المدينة التجاري. ففي حي "الكوت" أنشئ قصر للحكم سمي "السراي" أو"السراج" كما أنشئ قصر خاص للحاكم (الأمير عبد الله بن جلوي) ومساكن كثيرة في الجزء الشمالي الشرقي من الحي. أما في القلب التجاري فقد قام عدد من التجار بعد الاستقرار الأمني الذي بدأت تعيشه المنطقة بإعادة بناء سوق القيصرية[3].

---

and Saudi Arabia, London, George Allen $ Unwin Ltd.,p.

(1) Philpy, B. (1922) Op. Cit, Vol. 1,p.27.

(2) المرجع السابق، ص30.

(3) النعيم، مشاري. "سوق القيصرية والانتعاش الاقتصادي في مطلع القرن العشرين في منطقة الإحساء"، مجلة هجر، الغرفة التجارية بالإحساء، العدد 36 (أغسطس 1994م)، ص 44-46.

وسوق القيصرية من الناحية التاريخية نشأ مع تكون مركز المدينة التاريخي عندما تكونت الأحياء الرئيسية في المدينة واتخذ موقعاً يربط هذه الأحياء: ليشكل مركزاً تجارياً متوسطاً وسهل الوصول إليه من أي موقع في الهفوف. وكما وصفه (بلجريف) عام 1862م يشكل سوق القيصرية جزءاً من حي الرفعة ويطل على الميدان العام للمدينة وهو "من حيث الشكل عبارة عن رواق ذي سقف على شكل قبو طولي، وله فتحتان عند نهايتيه. أما الأبواب القابلة لحماية المداخل، والتي تتميز بها القيصريات المشابهة، غير موجودة في الهفوف"[1]. أما الجزء الأمامي من سوق القيصرية الموجود حالياً (نقصد به الرواق الموجود به عقود نصف دائرية مطلة على الشارع الرئيس) فقد شيد بين عامي 1918م (السنة التي زار فيها (فلبي) الهفوف والتقط فيها صوراً توضح وسط المدينة بسوقه القديم) و 1923م (السنة التي زار فيها (شيزمان) الهفوف والتقط صوراً لوسط المدينة توضح المبنى الجديد لسوق القيصرية)[2]. بينما تمثل الأجزاء الداخلية من السوق تكويناً عمرانياً قديماً يمكن تمييز بسهولة جداً عن الرواق الأمامي.

3- الخصائص العمرانية للوسط التاريخي:

تشكل العمارة الإرث الثقافي المادي والبصري لأي أمة من الأمم، بل تتجاوز ذلك لتعكس نمط الحياة والقيم الاجتماعية المتوارثة لأي مجموعة بشرية. يحاول هذا الجزء من الدراسة أن يتناول شخصية المكان للوسط التاريخي لمدينة الهفوف وذلك من خلال القراءة المتأنية للبيئة العمرانية التقليدية، كما تطمح هذه الدراسة إلى أن تجمع بين التوثيق التاريخي/ا لعمراني والتعليل الاجتماعي/ الفلسفي للبيئات العمرانية التقليدية الموجودة في المنطقة واضعين نصب أعيننا أهمية التنوع البصري والفراغي وحتى اللغوي الذي يميز هذه البيئات[3].

---

(1) Palgrave, W.G. (1885),Op. cit., p.150.

(2) فيدال، ف. ش. مرجع سبق ذكره، 1410هـ/ 1990م، ص 150.

(3) يمكن الرجوع هنا إلى الدراسة القيمة للدكتور الهذلول، صالح، المدينة العربية الإسلامية؛ أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية.-الرياض دار

انتهجت الدراسة لتحقيق هذا الهدف عدة سبل بعضها يتعلق بالعمل الميداني وجمع المادة العلمية والآخر يتعلق بالأسلوب التحليلي. وقد قسم العمل الميداني على مرحلتين، الأولى تسجيل العناصر المعمارية وتهدف هذه الخطوة إلى حصر الأنماط المعمارية المختلفة من أجل انتخاب بعضها لإجراء المسح التفصيلي لها. أما المرحلة الثانية فقد اهتمت بالمسح التفصيلي للعناصر العمرانية المنتخبة وإعداد الرسومات التفصيلية للمباني العامة والمساكن الخاصة التي تم اختيارها، كما تضمنت هذه المرحلة جمع كل ما كتب –تقريباً– عن عمارة المنطقة وتاريخها.

أما المنهج التحليلي، فقد ارتكز على أسلوبين يكمل كل منهما الآخر، الأول: التحليل البصري والفراغي Visual and Graphical Analysis ويهتم بإبراز المعاني الاجتماعية والقيم الجمالية لكل، عنصر معماري ولكل العناصر المعمارية مجتمعة في بيئة عمرانية محددة، والأسلوب الآخر التحليل الإثنوغرافي Ethnographical Analysis ويهتم بدراسة العناصر المعمارية في بيئاتها الاجتماعية، أي الاستخدام الخاص للعنصر المعماري من قبل مجموعة بشرية ذات قيم مشتركة وذاكرة جماعية والمعنى الذي يؤديه هذا العنصر، باعتباره وسيلة اتصال غير شفهية، لهذه المجموعة.

كما أن المقارنة بين البيئات العمرانية المتعددة في المنطقة كانت هي الأساس الذي بنيت حوله مادة الدراسة؛ لأن الهدف هو تحديد الكيفية التي تعاملت بها المجموعات البشرية المختلفة مع العنصر المعماري الواحد والمعاني المختلفة التي عكسها في كل بيئة. من الناحية البصرية قد تتشابه بعض العناصر العمرانية. أما من ناحية الاستخدام والمعنى الذي تؤديه هذه العناصر فربما تختلف اختلافاً كبيراً من منطقة لأخرى. يتضح هذا مثلاً من المسميات المختلفة لنفس العنصر المعماري في كل بيئة عمرانية. هذه الدراسة تهدف بشكل عام إلى فهم الكيفية

السهن، 1994م، ص142.

التي تفاعل بها إنسان المنطقة مع المعطيات الطبيعية والتقنية والظروف التاريخية لصناعة عمارة عبرت عن شخصية المكان. وفيما يلي قراءة عامة للخصائص المعمارية للوسط التاريخي لمدينة الهفوف؛ لأن المجال لا يتسع في هذه الدراسة للتفاصيل، كما أن هناك كثيراً مما يجب أن يعمل، وربما يعرض في دراسات لاحقة[1].

3-1 مكونات البيئة العمرانية للوسط التاريخي:

إن أي دراسة مقارنة للأنسجة العمرانية المختلفة الموجودة في البيئات العمرانية التقليدية في مدينة الهفوف تمثل خطوة أساسية لفهم هذه البيئة من العمق، فنحن لا نتوقع أن نتمكن من إعادة الحياة لهذه الأنسجة دون آن نتعرف إلى الكيفية التي كانت تعمل بها قبل التحولات التي طرأت عليها. إننا بذلك نهدف إلى فهم الخصائص المكانية للنسيج العمراني التقليدي بشكل عام، كما إننا نحاول أن نربط بين العوامل الطبيعية، وبين العوامل الاجتماعية والتاريخية وحتى التقنية التي ساهمت في تشكيل النسيج العمراني[2]. والحقيقة إننا هنا لن نقوم باستعراض تلك الخصائص بالتفصيل بقدر ما سنقوم بذكر ما يجب أن يدرس بعمق من هذه العناصر والقضايا الملحة التي يجب أن تحتوي عليها تلك الدراسات إن عملت في المستقبل.

---

(1) انظر علي سبيل المثال الدراسات التي قام بها الباحث في هذا المجال:

Al-Naim,m. (2002) "Cultural Continuity: Comparing the Fereej System and Modern Housing Development in Hofuf, Saudi Arabian. In Romaya, S. and Rakodi, C. (2002) Building Sustainable Urban Settlemnets: Approaches and Case Studies in the Devel-oping World, London, YlDG Publishing.

Al-Naim, M. (2002), "Growth and Re-Growth or Identity in the Traditional Arab Town: Case of Hofuf, Saudi Arabia", Paper presented in a Public Lecture organized by Dipartimento di Progettazione Architettonica e Ambientale Universita' "Federico Il", Naples, Italy. December 2002 (it will be published in editing book by Prof Arch. Rolando Scarano

Al-Naim, M. (2003) "Dynamism of The Traditional Arab Town: Case of Hofuf in Saudi Arabia", Paper presented in the 35th seminar of Arabian Studies. British Mu-seum, London (17-19 July 2003).

(2) للمزيد من فهم تأثير الجانب السلوكي يمكن الرجوع إلى النويصر، محمد عبد الله "المبادئ الجوهرية في النسيج العمراني- السلوكي الحديث في المستوطنات الصحراوية من المملكة العربية السعودية"، مجلة جامعة الملك سعود، العمارة والتخطيط، مجلد 3، 1991م، ص51-111.

3-1-1 الفراغ العام والفراغ الخاص:

دراسة الفراغات العامة الخاصة تتناول أفكاراً مهمة في تكوين الفضاء البصري والاجتماعي للمدينة التقليدية. فمفاهيم مثل الفراغ العام والفراغ الخاص تعتبر أساسية لفهم هيكلية النسيج العمراني، كيف تطورت الفراغات العامة والخاصة وما هي الحدود التي تفصلها عن بعضها البعض. هذا يقودنا إلى دراسة الشوارع .الساحات وتنظيمها في المدينة القديمة مع التركيز بشكل خاص على مركز المدينة وعلاقته بالأطراف (الأحياء السكنية). فالهفوف تتكون من تسلسل واضح في الفراغات العامة يبدأ من الشارع الرئيسي مقابل سوق القيصرية ثم تتدرج الفراغات حتى تصل الخلايا السكنية، وكل فراغ من تلك الفراغات كان يصنف من خلال "فكرة العام والخاص"، الأمر الذي يجعل المدينة تتشكل من دوائر تكون في بعضها الفراغات العامة التي تكون خاصة في دوائر أخرى. والحقيقة إنه دون دراسة دقيقة لهذه الدوائر (المرنة في طبيعتها الفيزيائية كونها تتغير بتغير التركيبة السكانية ذاتها، الأمر الذي يبدل العام إلى خاص والخاص إلى عام) سيظل التكوين المعماري للوسط التاريخي مستعصياً على الفهم، خصوصاً إذا ما عرفنا أن الذي يحكم حدود هذه الدوائر هي الأعراف والتقاليد التي كانت تحكم البيئة التقليدية (الشكل رقم 4). ربما تكون هذه الدراسة جزءاً من دراسة إثنوغرافية – اجتماعية لهذا النسيج ومع ذلك فإننا لابد أن نقوم ببعض الدراسات لعدد من العناصر المعمارية المهمة التي تشكل معالم يمكن من خلالها تحديد بعض معالم تلك الدوائر.

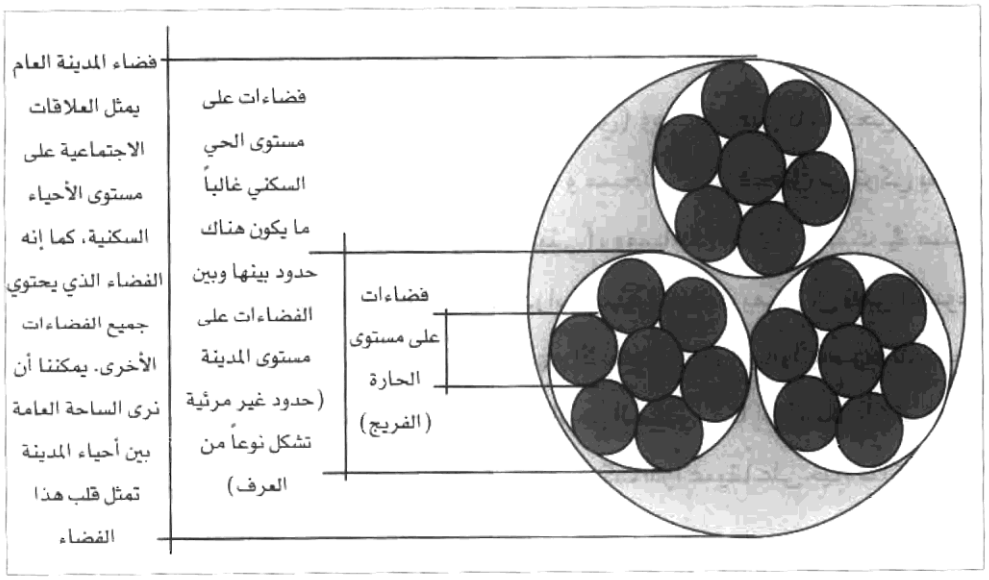

الشكل رقم (4) الدوائر الفراغية التي يمكن من خلالها فهم الفضاءات العامة والخاصة في وسط مدينة الهفوف التاريخي (ويمكننا الدخول في دوائر أصغر على مستوى الخلية السكنية وبعد ذلك المسكن).

3-1-2العناصر العمرانية البارزة:

إن فهم الفراغات العامة والخاصة لا يمكن أن يكون كاملاً إلا من خلال دراسة المباني العامة في المدينة وارتباطها بالمحيط العمراني الذي تقع فيه. ففهم المكان كحاضن للعناصر المعمارية يمكن أن نراه عند حديثنا عن المدينة ككل. أما عند تناول الفراغات داخل المدينة هنا نحن بحاجة إلى أن نفهم العناصر المعمارية كحاضنة ومشكلة للمكان. والمباني البارزة في المدينة هى التي تكون أهم العناصر التي تشكل الفضاء البصري وتملي على الساكنين الخرائط الذهنية Mental maps التي يصنعونها لأنفسهم عند تحديدهم لوجهتهم.

3-1-2-1 المساجد:

تمثل المساجد أبرز المباني في الوسط التاريخي لمدينة الهفوف، سواء من الناحية الروحية والثقافية أو حتى البصرية. تتناول الدراسة بعض المساجد المهمة مثل مسجد الجبري بحي الكوت (القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي) ومسجد على باشا بحي الكوت (القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي) ومسجد الإمام فيصل بن تركي بحي النعاثل (القرن التاسع عشر الميلادي) (أزيل المبنى)، ومساجد أخرى ساهمت في صنع الصورة البصرية والفراغية للمدينة القديمة، دراسة هذه المساجد يمكن أن تلقي الضوء على الدلالات المختلفة للمسجد عن طريق دراسة فهم الاستجابة الفراغية والبصرية للنسيج العمراني في حالة الجوامع الرئيسة وحالة مساجد الحي السكني، كما إنها يمكن أن تساهم في فهم المجاورات السكنية المحيطة بها والتي لابد أنها تركت أثراً عميقا على حياة ساكنيها.

3-1-2-2 القصور:

يمكن أن نرى القصور والقلاع، في كثير من الأحيان، على أنها النواة التي بنيت المدن حولها. ويمكننا أن نرى هذه العناصر باعتبارها عناصر معمارية متميزة، وفهم تأثيرها على شكل ونمو النسيج العمراني. أمثلة مثل قصر إبراهيم بالكوت، يمكن أن يوضح كثيراً من تكوين الوسط التاريخي، خصوصاً إذا ما عرفنا أن القصر يشكل مراحل تاريخية مختلفة عاشتها المدينة. فالجزء الغربي يشل المرحلة العثمانية المبكرة في القرن العاشر الهجري ويضم مباني عثمانية مهمة مثل: مسجد علي باشا ودار الإمارة و السجن والحمام. بينما يمثل الجزء الشرقي العهود السعودية المختلفة. بالتأكيد أن هناك كثيراً مما يمكن أن يقدمه لنا هذا المجمع؛ لأنه ليس مجرد قصر، بل هو سجل تاريخي- معماري مهم يمكن أن نفهم من خلاله تطور الوسط التاريخي.

3-1-2-3 الأسواق:

السوق في المدينة التقليدية هو العنصر العمراني الأكثر استخداماً للتمييز بين الفراغ العام والخاص، فسوق القيصرية بالهفوف، يمثل قلب المدينة، كما إنه العنصر العمراني الذي يفصل أحياء المدينة الأربعة عن بعضها البعض. وبالتأكيد إن الحريق الذي حدث لهذا السوق قبل عامين تقريباً يعتبر مؤشراً لأهمية المحافظة على الوسط التاريخي سريعاً وحمايته من العبث الذي يتعرض له[1].

3-2 المجاورة السكنية (الفريج): آلية تشكيل المكان السكني:

يعتقد سكان الهفوف أن كلمة فريج مشتقة من "الفرجة" وهى الفتحة التي كانت تربط أسطح المنازل ويستخدمها النساء فقط للتزاور. فالفريج بصورة عامة يعني مجموعة الأسر التي يكون بينها رابطة قرابة قوية تصل إلى حد أن ترتبط مساكنها برباط واحد يحيلها إلى مسكن كبير. ومن الناحية العمرانية الفيزيائية يصعب تحديد حدود الفريج لأنه متغير، يصغر ويكبر حسب المتغيرات التي قد تطرأ على علاقة تلك الأسر. وفي الهفوف يشل الفريج عادة الأسرة أو "الحمولة" نفسها فعادة ما تسكن الحمولة بأسرها الممتدة في مكان واحد يعرف باسمها، وعادة ما يتكون الحي السكني من عدد من "الفرجان" التي يصعب وضع حدود فيزيائية لها وإن كان الساكنون يعرفون هذه الحدود ويحترمونها (الشكل رقم 5).

---

(1)) لمعرفة المزيد عن سوق القيصرية وتطوره ومشروع إعادة بنائه الذي شاركت فيه الهيئة العليا للسياحة والآثار انظر إلى: النعيم، مشاري عبد الله. "أسوق القيصرية: قلب الهفوف النابض"، مجلة البناء، العددان 151-152، 2003م.

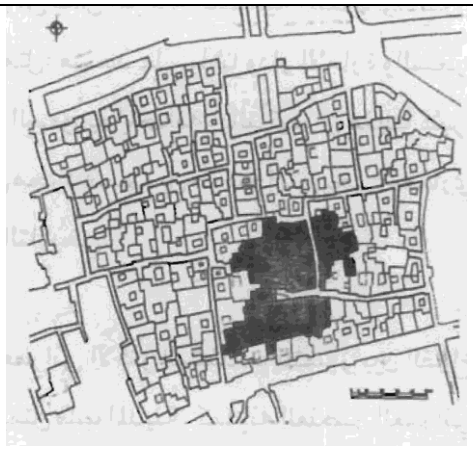	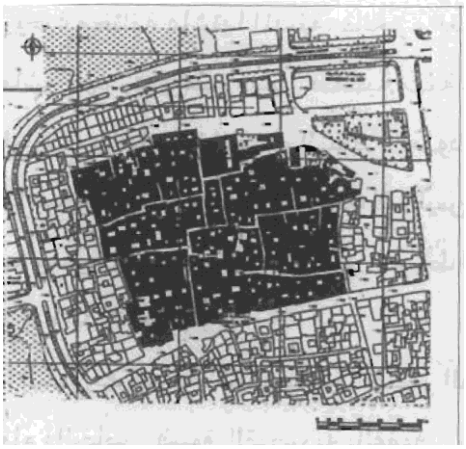
لا يوجد حدود فيزيائية بين فريج وآخر فالبيئة العمرانية تشكل كتلة فيزيائية واحدة	مجموعة من المساكن تشكل كتلة عمرانية واحدة في الكوت
	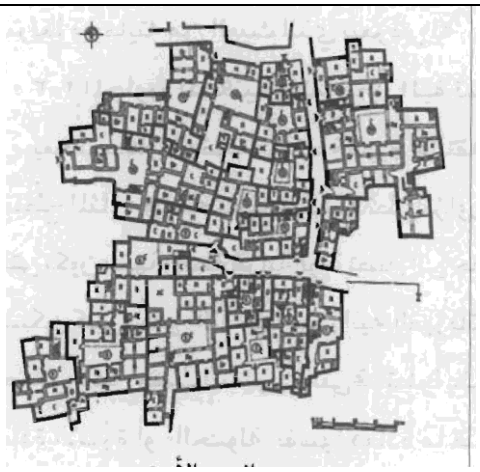
الدول الأول	الدور الأرضى

الشكل رقم(5) نموذج للتكوين العمرانى لأحد الفرجان فى حى الكوت المصدر:مطور عن

Al-Musallam, A[(1)]. (1995).,pp.3-4 & 11-12

(1) Al-Musallam, A. (1995) Al-Hassa Traditional House: A case study of Al-Kut District, Special Work-shop in Architectural design (Unpublished),. Dammam, king Faisal University.

3-2-1 الخصائص الاجتماعية للفريج:

تعد الناحية الاجتماعية للفريج الخاصية الأكثر أهمية عند دراسة العمارة التقليدية في المنطقة الشرقية. فمن هذه الخاصية تولد كثير من الفراغات والأشكال العمرانية وكثير من الطقوس والمعاني للتعامل مع الفراغ العام والفراغ الخاص داخل الفريج نفسه، وهو تعامل يختلف عن الفراغ العام والفراغ الخاص في المدينة ككل. ارتباط الفريج بالنظام الاجتماعي في البيئة التقليدية في الهفوف هو ما جعل الفريج عنصراً عمرانياً أكثر العناصر تعبيراً عن الحياة اليومية التي عاشها المجتمع التقليدي، كما أن فكرة النطاقية تتجلى بوضوح عند التغلغل في الاستجابة الاجتماعية للفريج، فصناعة الحدود المكانية للفريج تمثل أحد السلوكات الاجتماعية التي مارستها المجموعات البشرية في ذات القرابة للتعريف بنفسها وبمكانتها الاجتماعية داخل المجتمع التقليدي. على أننا يمكن أن نفهم النطاقية داخل الفريج ذاته عندما نرى كيف حاولت الأسر الممتدة (وهي مجموعة من الأسر المنحدرة من أب واحد) أن تعرف بنفسها. ويمكن أن نميز بين ثلاثة مستويات من النطاقية في العمارة التقليدية هي الحي السكني داخل المدينة (الفراغ العام والفراغ الخاص داخل المدينة) والفريج داخل الحي السكني والسكة أو السباط التي تميز الأسرة الممتدة.

3-2-2 العناصر العمرانية للفريج:

يتكون الفريج من عدد من الفراغات العامة التي تربط المساكن والمجموعات السكنية داخل الفريج وتربط الفريج مع الفرجان الأخرى. هذه الفراغات هي السكة والسكة السد والسباط والبراحة (الشكل رقم6). لكل من هذه الفراغات استخدامات ومعان خاصة. هذه المعاني ليست مطلقة فما هو عام داخل الفريج هو في الحقيقة خاص بالنسبة للأغراب عن الفريج. إن معرفة الآلية التي طورها سكان البيئة التقليدية المعاني النسبية لعناصر الفريج العمرانية وتأثيرها في التسلسل الفراغي للمدينة القديمة هو جزء أساس لإعادة الحياة للبيئة التقليدية

بأكملها.

3-2-3 الفريج والمسكن:

يمكن أن نناقش مفهوم الخصوصية بشكل مكثف هنا فبالرغم من أننا تطرقنا إلى مفهوم الخصوصية عند الحديث عن الفراغات العامة والفراغات الخاصة في كل من المدينة والفريج إلا أن الحديث عن المسكن، وهو أكثر العناصر العمرانية خصوصية، يتطلب طرح فكرة الخصوصية في أقصى درجاتها، ولأن المسكن هو الوحدة العمرانية التي يتشكل منها الفريج لذلك فإن تأثر هذه الخصوصية لا بد أنه ترك أثراً واضحاً على كثير من التكوينات البصرية والفراغية للفريج ككل.

3-2-3-1 مفهوم الداخل والخارج في الفريج:

إذا حدد الإنسان ما هو الداخل وما هو الخارج يمكننا القول بأنه يسكن، وعبر هذا الارتباط تكون خبرات الإنسان وذكرياته قد وجدت لها موضعاً، ويصبح داخل الفضاء تعبيراً عن داخل الشخصية. ويفسر الأهمية الرمزية للباب منذ القدم كون كل شكل مغلق يجب الدخول إليه، من هذا ينبغي تقديم اتجاه، وكيلاً يصبح البيت سجناً ينبغي أن يمتلك فتحات على العالم الخارجي، تربط هذا العالم الداخلي بالخارجي، فالاتجاه يوحد الداخل بالخارج بقوة تقريباً؛ والمكان بهذا الشكل يتأثر كذلك بالاتجاه، أنه ممتد نحو الداخل، وفي نفس الوقت الذي يخترق الخارج للحدود، يخلق منطقة انتقال موصولة بفتحة قد تمنح أشكالاً كثيرة للتعبير عن درجة الاستمرارية في الفضاء الوجودي[1].

(1) شولز، كريستيان نوربرغ. الوجود والفضاء وفن العمارة؛ ترجمة سمير علي، (سلسلة عدنان أسود للعمارة)1.- بغداد:المطبعة البغدادية، 1996م،ص34.

مرة أخرى نتطرق إلى الفراغات العامة والفراغات الخاصة في البيئة التقليدية ونحن هنا نتناولها من خلال مفهوم الداخل والخارج أي علاقة الفراغات داخل المسكن بالفراغات خارجه. فالمسكن التقليدي في نظام الفريج يتميز بوجود فراغات أمامية يمكن أن نطلق عليها فراغات شبه عامة في حالة وجود الرجال وخاصة جداً عندما يكون الرجال خارج المسكن. أما الانعكاسات البصرية لهذه الظاهرة على واجهة المسكن فتمثلت في تطوير صيغ بصرية متعددة تدعم التواصل بين الداخل والخارج.

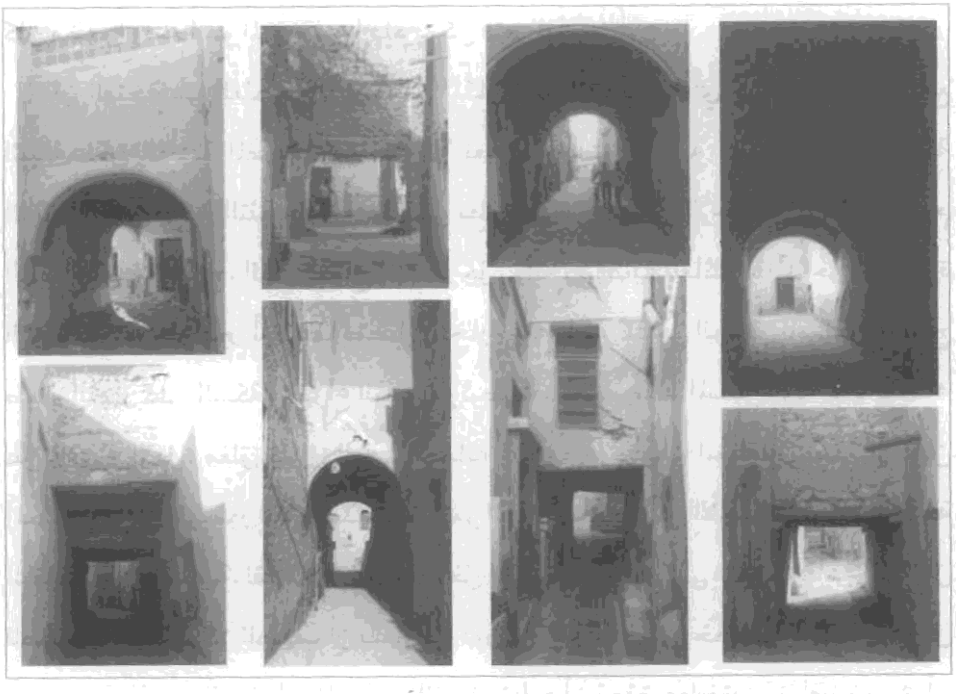

الشكل رقم (6) تكوينات متنوعة للسباط (أحد العناصر الرئيسة للفريج)

نعتقد أن علاقة الداخل – الخارج في المسكن التقليدي كانت علاقة عميقة ومزدحمة بالأعراف الاجتماعية –الثقافية؛ تتمثل هذه العلاقة في أعم صورها من كون المجتمع الخليجي التقليدي مجتمعا جمعياً، الأمر الذي جعل المرأة ترتبط بالمسكن بينما الرجل تربطه بالقبيلة والأسرة الممتدة ارتباطات وثيقة جعلته دائم التعلق بالخارج. هذا التباين في دور الرجل والمرأة في البيئة العمرانية طور تركيبة من العلاقات تقنن ظاهرة الداخل الخارج

في المسكن التقليدي الخليجي، فلو نظرنا إلى مدخل المسكن الذي يمثل الحد الفاصل بين الداخل والخارج سنجده يعكس كثيراً من المعاني الظاهرة والضمنية، كما إنه يؤثر تأثيراً كبيراً على التوزيع الفراغي للمسكن ويعكس المكانة الاجتماعية للأسرة من الناحية البصرية. يقول (نربرغ- شولز) "أن الباب قد ينغلق أو ينفتح، إنه يمكن أن يوحد ويفصل. من الناحية السايكولوجية يكون على الدوام مفتوحاً ومغلقاً في الوقت نفسه، وان كان مظهراً واحداً هوالمهيمن، ما دام يمكن فتح الباب"[1].

"إن الفتحة هي العنصر الذي يجعل المكان حياً، لأن أساس أي حياة هو التفاعل مع البيئة. لكن الفتحة المفردة في انغلاق لا تعير الجهات الأصلية اعتبارا[2]". الملاحظة الرئيسة التي يمكن التنويه عنها هنا هي تطور مدخل المسكن الإحسائي ليحقق مفهوم الانفتاح على الخارج، الذي يحتاج إليه الرجل، والخصوصية للعائلة. فالمداخل المنكسرة التي تتكون من فراغين أحدهما متصل بالخارج وله باب، المدخل الرئيس للمسكن، مفتوح طوال النهار على السكة والفراغ الثاني مرتبط بالداخل، بفناء المسكن، وله باب يفصله عن الفراغ الأول، مغلق طوال الوقت لحماية الأسرة من عيون المتطفلين، هذا التكوين المعماري ما كان ليتطور لولا التهذيب المستمر الذي مر به المسكن الأحسائي لتلبية الحاجة الثقافية والاجتماعية، لقد تحول فراغ المدخل المرتبط بالخارج إلى ما يشبه قاعة استقبال للضيوف، حيث يمكن للضيف أن يقعد فيه دون أن يؤثر هذا على خصوصية الأسرة داخل المسكن. قليلة هي الفراغات المعمارية التي تستطيع أن تحقيق وظيفتين متناقضتين في آن واحد ولكن الاستجابة لتلبية المتطلبات الاجتماعية والثقافية هي التي جعلت من مدخل المسكن الأحسائي فراغاً معمارياً يقنن علاقة الداخل بالخارج ويجعل المسكن ككل فراغاً ينتمي إلى المجتمع الخارجي ويحمي الحياة الخاصة في آن واحد.

---

(1) شولز، كريستيان نوربرغ،مرجع سبق ذكره، 1996م، ص34.

(2) شولز، كريستيان نوربرغ، مرجع سبق ذكره، 1996م، ص34.

3-2-3-2 واجهة المسكن: البيئة البصرية الخارجية للفريج:

تشكل واجهة المسكن في نظام الفريج البيئة البصرية العامة التي يتواصل بها الساكنون بصورة غير شفهية، على هذا لا يمكن أن نتطرق إلى العناصر البصرية الجمالية لواجهة المسكن دون أن نتحدث عن قيمتها الاجتماعية ودورها في بناء فكرة الفريج الاجتماعية- العمرانية. فمدخل المسكن باعتباره عنصراً رئيساً في الواجهة له تأثيره الواضح على الفراغ الخارجي. كما يمكن إدراج مجلس الرجال وهو عناصر فراغي له ارتباط مباشر بواجهة المسكن (الشكل رقم7).

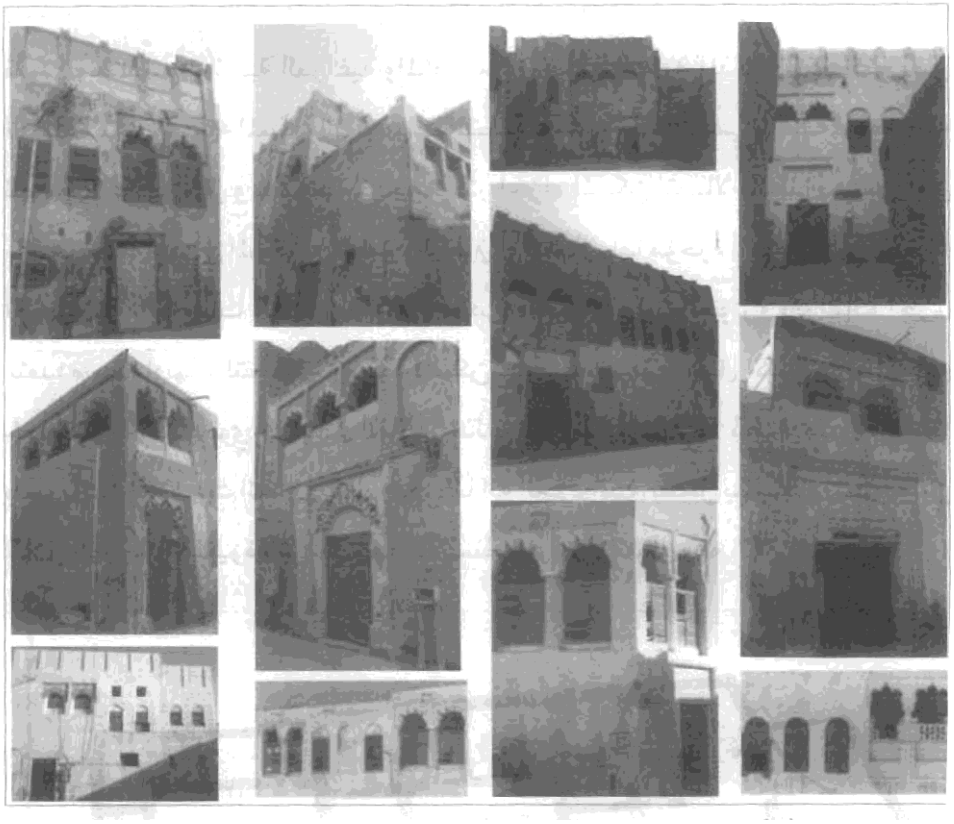

الشكل رقم (7) تكوينات متعددة لمدخل المسكن وانفتاحه على البيئة الخارجية للفريج.

3-3 المسكن التقليدي:

تحدثنا عن فكرة المسكن التقليدي باعتباره نواة عمرانية تشكل الفريج، تؤثر وتتأثر بنظامه الاجتماعي – العمراني. أما في هذا القسم فسيكون التركيز على فكرة المسكن من حيث هو المكان الذي يؤوي الأسرة ويعكس خصوصيتها ومكانتها الاجتماعية. وبشكل عام سواء كان المسكن كبيراً أو صغيراً هناك بنية فراغية حكمت الفضاءات الداخلية.

عند تحليل المسكن التقليدي فراغياً نستطيع آن نرى ثلاثة أقسام رئيسة هي: المقدمة، وهي خاصة بالرجال، والمؤخرة، وهي خاصة بالحيوانات، ووسط المسكن الخاص بالعائلة. ربما يكون هناك اختلاف طفيف بين المساكن التقليدية إلا أنه لا يرقى أبداً إلى أن يشكل نموذجاً مختلفاً. إن البنية الفراغية والمكونة من الأقسام الثلاثة المذكورة تكاد تكون هي النظام الذي قام عليه المسكن التقليدي في المنطقة. مقدمة المسكن: هي المنطقة المخصصة للضيوف من الرجال ويعتبر هذا الجزء أكثر أجزاء المسكن اتصالاً بالخارج ويتكون من "الدهريز" أي مدخل المسكن والمجلس والوجاق أو الوجار. أما مؤخرة المسكن: فهي المنطقة المخصصة للحيوانات وتتكون من فناء يدعى "السمادة" أو "الحوش" وفراغات أخرى متعددة سنتناولها بالتفصيل. ووسط المسكن: هو القسم الذي يمثل أكثر أجزاء المسكن خصوصية؛ لأنه يحوي فراغات العائلة: لذلك فهو معالج فراغياً بحيث يكون منقطعاً بصرياً عن الفراغات الخارجية للفريج، كما إنه الجزء الذي يتصل بالمساكن المجاورة من خلال الفرجة الصغيرة التي تستخدمها النساء للتزاور (الشكل رقم8).

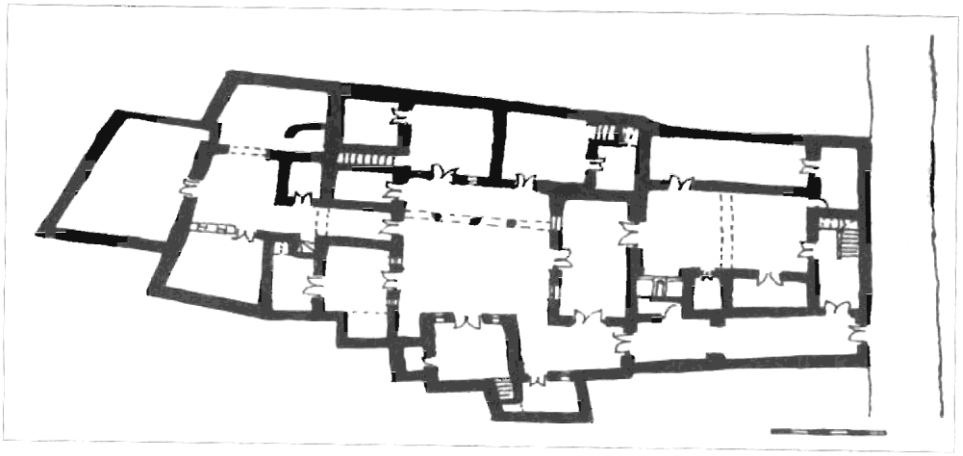

الشكل رقم (8) أحد المساكن التقليدية في حي النعاثل يوضح الأجزاء الثلاثة للمسكن.

والمجلس في مدينة الهفوف له مكانة خاصة ويحظى بقيمة رمزية واجتماعية عالية، فهو الوسط المادي الذي تمارس فيه شعائر الكرم وهو حلقة الوصل بين الداخل والخارج، لذلك نجد أن هذا الفراغ الحيوي متعدد الأسماء والوظائف في البيئة العمرانية الخليجية، فقلما نجد بيتاً لا يوجد به مجلس وقلما نجد مجلساً ليس مفتوحاً على الخارج ولو بصرياً. فمثلاً يستخدم مصطلح "بيت المجلس"، للإشارة إلى فراغات استقبال الضيوف في المسكن. واقتران كلمة، "بيت" بالمجلس يعني أولاً أن فراغات استقبال الضيوف تعني عند سكان الإحساء أنها تشكل مكاناً مختلفاً في دلالاته عن باقي المسكن، وثانياً أن حجمها يعادل حجم المسكن أو قريباً منه. وارتباط المجلس بالمدخل في المسكن الإحسائي هو ارتباط وظيفي- رمزي إذ أن الرغبة في استقبال الضيوف تحتم على صاحب المسكن أن يترك باب مسكنه مفتوحاً فالضيف يرفع صوته منادياً "يا أبو فلان" ثم يدخل المسكن" مما حتم أن يكون المجلس في أقرب نقطة ممكنة من مدخل المسكن. لذلك نجد "الدرج" وهو سلم الصعود غالباً ما يكون ملاصقاً لمدخل المسكن إذ ا كان المجلس في الدور الأول. بهذا أصبح المجلس يشكل واجهة المسكن، مما أوجد الفرصة لمخاطبة المارة ودعوتهم إلى الدخول بصرياً. فقد تشكلت واجهة المسكن من البوابة وفتحات المجلس في الدور الأول في كثير من البيئات العمرانية الخليجية وأصبح هناك اتصال بصري وحتى سمعي بين داخل المسكن

(ممثلاً في المجلس) وبين الخارج مع تمتع فراغ العائلة بخصوصية عالية (الشكل رقم 9-أ، ب) [1].

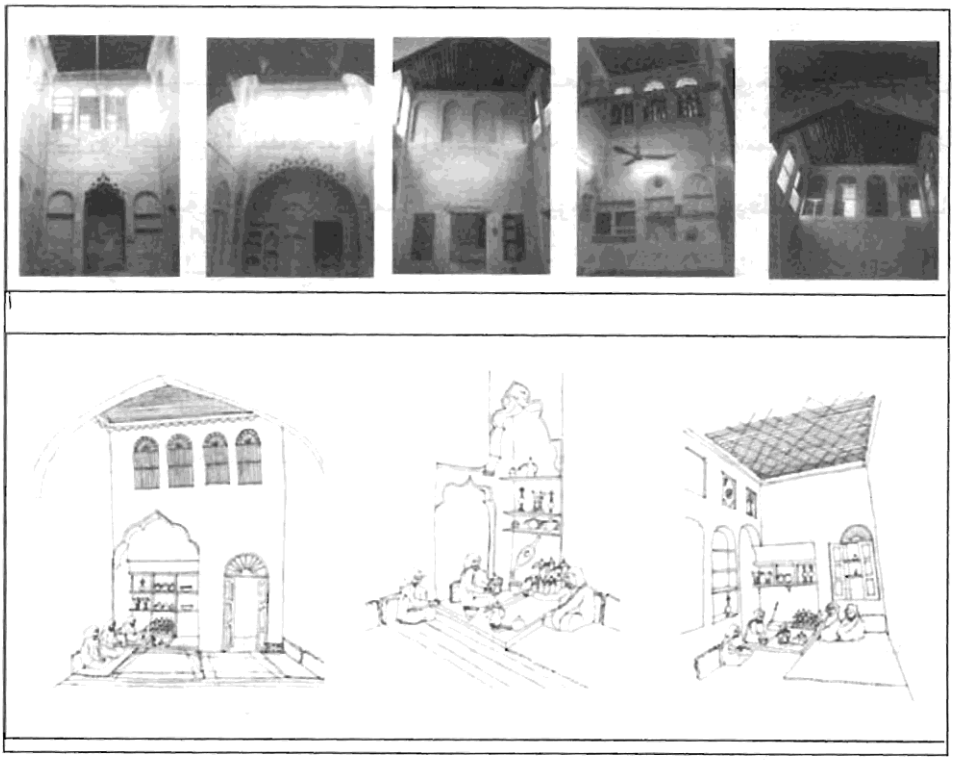

الشكل رقم (9) الوجاق في المجلس (تكوُّن زخرفي غير متكرر مرتبط بالمكانة الاجتماعية للأسرة.

أما وسط المسكن الذي يمثله الفناء وما يحيط به من فراغات فغالبا ما يكون مشابها من الناحية الفراغية والفيزيائية لبيت المجلس، إلا أنه من الناحية الوظيفية والرمزية يختلف اختلافاً جوهرياً عنه. يعمل الفناء الرئيس في المسكن مسمى "الحوي" وتنقسم الفراغات إلى مربعات(وهي غرف رئيسية) وليوانات وهي فضاءات أقل أهمية (وغالباً ما يكون هناك ليوان شمالي يستخدم في الشتاء وليوان جنوبي يستخدم في الصيف). ووسط المسكن وإن كان أقل رمزية من بيت المجلس إلا أنه أكثر حرمة وأشد خصوصية لذلك نجد له باباً يفصله عن "الدهريز" مما يجعله معزولاً بشكل كامل عن الخارج ويوفر مرونة وحرية أكبر لقسم الرجال كي يستخدم دون حذر، فالباب

(1) النعيم، مشاري، " التوافق الوظيفي والجمالي في البيئة العمرانية" القافلة، المجلد 46، العدد 1) 1997م) ص 38-43.

الرئيس للمسكن غالباً ما يكون مفتوحاً لاستقبال الضيوف الذين لا يحتاجون سوى رفع أصواتهم للاستئذان بالدخول (الشكل رقم 10).

الشكل رقم (10) الفناء في المسكن التقليدي بمدينة الهفوف

ويمكن النظر إلى العناصر العمرانية في مدينة الهفوف على أنها عناصر غير متكررة وتتميز بنمطها المعماري الفريد الذي يختف كثيراً عن المناطق المجاورة بالرغم من أن البعض يعتقد أن هذه العناصر مستوردة[1]. وأن الباحث ومن خلال دراسات متعددة قام بها في المنطقة تأكد له أن التكوينات الفراغية والعناصر البصرية وحتى تقنية البناء كانت متميزة جداً في الأحساء وإن كانت تشترك مع المناطق المجاورة في الأسلوب ولكن ليس التفاصيل والموضوعات (الشكل رقم11). والحقيقة أن مزيداً من الدراسات ضرورية في هذا المجال كون العمارة في المملكة بشكل عام والهفوف بشكل خاص لم تدرس بما فيه الكفاية.

(1) Earls. M. (1989) Architecture: The Sources of the Traditional Architecture of the Eastern Province of Saudi Arabia, Unpublished Ph.D. Thesis, Newcastle Upon Tyue. University of Newcastle Upon Tyne.

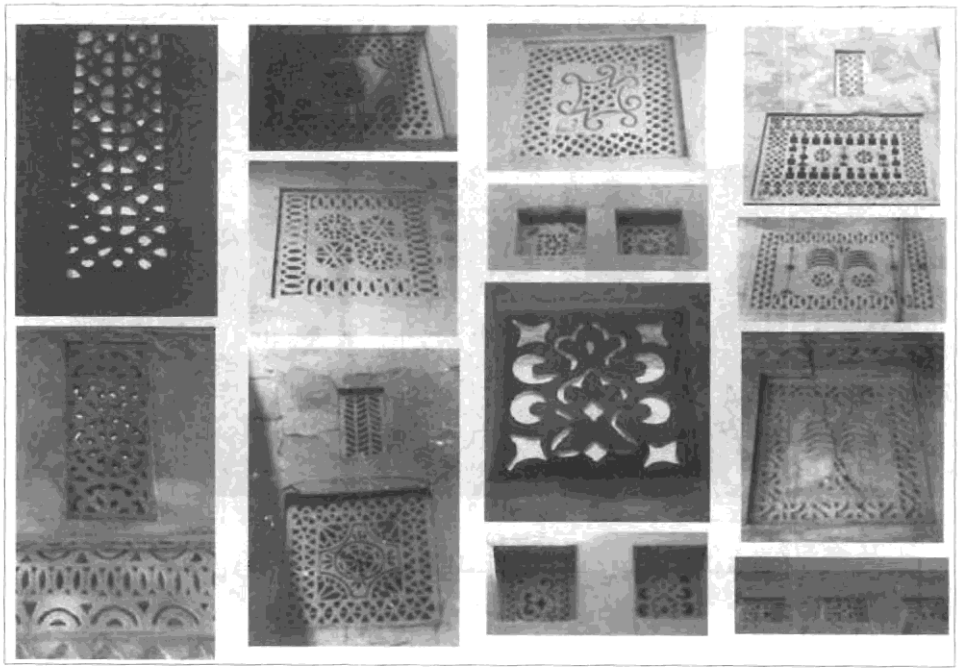

الشكل رقم (11) تكوينات زخرفية جصية في الهفوف (موضوعات من البيئة المحلية).

4- هل هناك إمكانية لإعادة الحياة إلى الوسط التاريخي؟

نستطيع أن نقول كثيراً عن جماليات العمارة في الوسط التاريخي لمدينة الهفوف فهناك عدد كبير من التفاصيل البصرية والعناصر الفراغية والإنشائية التي يمكن تسجيلها والمحافظة عليها[1]. ولكننا نرى أن هدف الدراسة يستدعى أن نحدد السبل التي يمكننا من خلالها المحافظة على المنطقة القديمة من المدينة الوسط التاريخي يعيش حالياً أسوأ حالاته، فتمدد المنطقة التجارية يقتطع منه كل يوم جزءاً جديداً، فتهدم بيوت وتضيع تفاصيل

(1) لمعرفة بعض التفاصيل حول العناصر البصرية والزخرفية يمكن الرجوع إلى الدراسات التالية: النعيم، مشاري عبد الله. "الرسوم الجدارية في مساكن الأحساء التقليدية"، القافلة، المجلد 43، العدد7، رجب 1415هـ/ ديسمبر 1994م، ص40-44. النعيم، مشاري عبد الله. "وظيفة الرمز في العمارة: رؤية نقدية للعمارة المعاصرة في المملكة"، القافلة، العدد5، جمادي الأولى 1417هـ- أكتوبر 1996م، ص37-42. النعيم، مشاري عبد الله. " تصوير النخلة في النقوش الزخرفية في منطقة الأحساء" المأثورات الشعبية، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، قطر، العدد43، صفر1417هـ-يوليو 1996م، ص7-19، النعيم، مشاري عبد الله. "ملقف الهواء في العمارة الخليجية: إشكالية الشعبي- الكوني"، المأثورات الشعبية، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية العددان54/53، يناير، إبريل 1999م، ص41-65. النعيم، مشاري عبد الله. "الدلالات الثقافية للمصطلحات المحلية في العمارة الخليجية"، المأثورات الشعبية، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية العدد 57، يناير 2000م،ص7-35.

معمارية لا تعوض. كل هذا يستدعي أن نقوم بعمل ما يقلل من هذا التدهور الذي تعيشه المنطقة. لن يكون تركيزنا على الأهمية الثقافية والاجتماعية للمنطقة القديمة ولكننا سوف نحاول أن نتناول الإمكانات السياحية الكبيرة التي تحتويها المنطقة وهو هدف استشاري بحت قد يجعلنا نفكر جدياً في استثمار التراث.

كيف يمكن أن تخدم السياحة التراث العمراني؟ والسؤال مشروع كذلك عندما نقول كيف يمكن أن يخدم التراث العمراني صناعة السياحة ؟ التراث العمراني بشكل عام بحاجة إلى قراءة أمثلة معاشة أستثمر فيها الأثر المعماري، لأنه ليس من المعقول أن تظل الآثار المعمارية مصدراً للإنفاق فقط. أتصور أن الحل الوحيد لتدارك ما تبقى من الآثار المعمارية في بلادنا هو استثمارها، أي جعلها ضمن مصادر الدخل الوطني، وجعلها بصورة أكبر ضمن اهتمام رجال الأعمال لتوظيفها في مشروعات سياحية وثقافية. هذا لا يعني المساس بالأثر المعماري، خصوصاً إذا كان يحمل قيمة تاريخية خاصة، ولكن توفير البنية التحتية التي تجلب الزوار للأثر وتنشط الحركة التجارية حوله هي التي ستبرر وجوده. باستثمار التراث العمراني، نحن على يقين أننا سنحقق أهدافاً ثقافية واجتماعية وتاريخية واقتصادية وفوق كل ذلك الهدف الجمالي الذي نسعى له، بصفتنا معماريين، في مدننا المعاصرة.

على أنه لا يمكننا استثمار التراث العمراني دون تصنيف للتراث الوطني بشكل عام، فمسألة التصنيف هي مسألة جوهرية تمكننا من أن نعطي كل موقع حقه من الأهمية وأن نستثمره الاستثمار المناسب. فعلى سبيل المثال هناك عدة آليات للتعامل مع التراث العمراني إحداها حفظ الأثر كما هو Preservation وهذا يتطلب توفير خدمات ومرافق منفصلة وغير مؤثرة على الأثر المعماري، بينما المحافظة على الأثر مع إمكانية تغيير استخدامه Conservation تجعلنا قادرين على توفير بعض الخدمات ضمن المنشآت المعمارية التاريخية، كما أن هناك ترميم الأثر Restoration وإعادة بناء الأثر المعماري Reconstruction ولكل منها أسلوب تعامل مختلف.

إذن يجب أولاً أن نعرف ما المواقع الأثرية التي هي بحاجة إلى حفظ دون تغيير، وهي غالباً مواقع تاريخية نادرة وغير متكررة، وما المواقع التي يمكن حفظها مع إعادة استخدامها، وما الآثار المعمارية المهمة التي اختفت .وتستحق منا إعادة بنائها؟، هذا متروك للتصنيف العام للتراث الوطني.

ما الذي يجعل أيّاً منا ينكر في زيارة مدينة ما؟ أعتقد أن مفهوم المدينة قد تغير وأصبح هناك حاجة ماسة لكي تتوافر عناصر جذب للمدينة تجعلها محطة ثقافية واقتصادية وترويحية يقصدها الزائر والسائح. فالسياحة ظاهرة مدينية، وقد يتوق السائح إلى الاستمتاع بالمظاهر الطبيعية والتاريخية للمكان إلا أن ذلك لا يجعله أبداً في غنى عن المدينة وما تقدمه من خدمات وفي المجتمع السعودي على وجه الخصوص، إذ اكنا نتحدث عن السياحة الداخلية، تمثل المدينة بصخبها وأسواقها المحطة الأولى والأساسية للأسرة السعودية. هذا يجعلنا نتحدث عن المدينة كجهاز للنمو الاقتصادي وكيف يمكن للمدينة من خلال كفاءتها الاقتصادية الذاتية self sustaining city أن تسهم بناء الاقتصاد الوطني. السؤال الذي يمكن أن نطرحه هنا هو "كيف يمكن للمدينة أن تكون مميزة ومنافسة" حتى تستطيع القيام بهذا الدور. وحتى نجيب عن هذا السؤال يمكن أن نستعرض كثيراً من الخصائص التي يجب أن تتوافر في المدن المنتجة من ضمنها الخصوصية الثقافية Cultural specificity التي تمتلكها المدينة والتي تجعلها في موقع الصدارة عندما تكون في وسط تنافسي، أي عندما تتشابه عدد من المدن في كثير من المميزات تصبح الخصوصية الثقافية للمدينة عاملاً مرجحاً في صالح اقتصاديات المدينة. والذي اعتقده أن أهم خاصية يمكن أن تجعل الهفوف مصدر جذب سياحي هي المحافظة على الوسط التاريخي وبعث الحياة فيه من جديد وهو ما نتمنى أن يحدث في القريب العاجل. وفي سبيل تحقيق ذلك يمكن أن نقدم المقترحات التالية التي تشمل الجانبين التوثيقي والعملي.

4-1 تسجيل التراث العمراني وتحديد النطاق المكاني للوسط التاريخي:

يحتاج الوسط التاريخي لمدينة الهفوف تسجيلاً دقيقاً فهناك عناصر عمرانية متعددة ومبانٍ ذات قيمة تاريخية مهمة. ويمكن تقسيم التسجيل والتوثيق إلى ثلاث مراحل يجب أن تتم جميعها بشكل متسلسل. ففي البداية يجب عمل مسح شامل لكافة المباني الموجودة الآن في المنطقة وإفراد استمارة لكل مبنى توضح الخصائص العامة للمبنى والتصور المبدئي للمساقط الأفقية والعناصر العمرانية المهمة التي يحتويها ويتضمن ذلك تبويب المباني والعناصر العمرانية ورصدها في قوائم يسهل الرجوع إليها. ثم بعد ذلك تبدأ مرحلة دراسة الاستمارات وتصنيفها إلى مجموعات تمثل "نماذج" للمباني والعناصر العمرانية يتم من خلالها انتخاب عدد منها لإجراء المرحلة الثانية من التوثيق التي تتضمن عملية القياسات وتنفيذ الرسومات للمساقط الأفقية والواجهات والقطاعات للمباني المنتخبة والتي يفترض أن تمثل كافة أشكال ونماذج البناء في الوسط التاريخي. أما المرحلة الأخيرة فهي القيام بعمل التحليل والدراسة التي يمكن أن تجعلنا قادرين على تطوير برامج عمل للمحافظة على الوسط التاريخي وإعادة الحياة الاجتماعية والاقتصادية إليه.

4-2 خطوات عملية للمحافظة على الوسط التاريخي:

من المعروف أنه لا يمكن فهم المباني المهمة في أي مدينة دون فهم عميق لارتباطات تلك المباني بالمنطقة المحيطة بها وهو ما يعني أن تركيزنا على مبان فردية لن يؤدي إلى تطوير المنطقة التاريخية والمحافظة عليها؛ لذلك فإننا نقترح أنه بعد إجراء الدراسات اللازمة وتوثيق عناصر الوسط التاريخي يجب أن نطور برنامجاً شاملاً يبدأ من سن القوانين التي تنظم عملية إزالة المباني الآيلة للسقوط وبناء المباني الجديدة في المنطقة، بالإضافة إلى اعتبار هذا الجزء من المدينة منطقة عمل ذات خصوصية بحيث يتم النهوض بها على مستويات متعددة تبدأ من تحسين الخدمات (وغالباً الخدمات من كهرباء وماء وصرف صحي متوافرة وفي حالة جيدة) وإعادة دراسة شبكة الطرق وبعد ذلك

التركيز على المباني المهمة والمساكن.

4-2-1 تطوير النظم والقوانين وإيقاف التدهور:

يعاني وسط الهفوف من تدهور واضح واختفاء متسارع للعناصر العمرانية المتميزة بالإضافة إلى تشويه العناصر الموجودة لجهل القيمة التاريخية والفنية لها (الشكل رقم12). كما أن تسارع امتداد المباني التجارية أدى إلى وصول التدهور إلى عمق المناطق القديمة وتحويلها إلى مبانٍ عادية ليس لها أي قيمة تاريخية تذكر. وهذا بالتأكيد يتطلب إجراءات سريعة جداً لا يمكن أن تنتظر إجراء الدراسات وتحديد المتميز من الأبنية فحتى يتم هذا الأمر ستفقد المنطقة كثيراً من قيمتها التاريخية والمعمارية، لذلك فإن الخطوة الأولى هي أن نبدأ بسن قوانين تحد من التدهور (ويمكن الاستعانة بالمواثيق الدولية مثل ميثاق البندقية وغيره) وإنشاء قسم للرخص (محلي) تابع للهيئة العليا للسياحة والآثار تكون مهمته الأولى النظر في حالات الفسح لعملية البناء والإزالة والإضافة وغيرها

الشكل رقم (12) مجموعة من البوابات القديمة التي أصيبت بتشوه في وسط مدينة الهفوف.

4-2-2 تطوير البيئة الخارجية ووضع مخطط إستراتيجي للمنطقة:

يمكن أن تكون الخطوة التي تلي وضع القوانين والأنظمة التي تنظم الوسط التاريخي هي تطوير البيئة الخارجية وتحسين شبكة الطرق ووضع خطة شاملة للمنطقة واحتياجاتها المستقبلة وربطها بباقي أجزاء المدينة. والحقيقة أن الباحث لاحظ أن المخطط الهيكلي لمنطقة الإحساء حاول وضع مثل هذه الخطة ولكن للأسف فقد كان التركيز جزئياً ولم يتم اختيار وسط المدينة كمنطقة عمل Action Area ولم ينعكس ذلك على قرارات البلدية وتوجهاتها، كما قام مكتب البيئة بوضع تصورات للمنطقة المحيطة بالقيصرية بعد حريقها ودراسة شبكات الطرق المرتبطة بها، على أنه حتى هذه اللحظة لا يوجد دراسة تخطيطية شاملة تتضمن الجانب الفيزيائي والاجتماعي والاقتصادي (فضلاً عن الجانب التاريخي الذي يجب أن يكون ضمن دراسة منفصلة).

4-2-3 المحافظة على المباني المميزة:

بالتأكيد أن الدراسة التوثيقية سوف تقدم لنا كثيراً من المعلومات التي ستمكننا من اتخاذ كثير من القرارات حول المباني التي يجب ان نحافظ عليها كما كانت في الأصل لتوظيفها كشواهد تعبر عن المجتمع التقليدي وعمارته في مدينة الهفوف، ونحن هنا لا نتحدث عن المباني الكبيرة والمتميزة التي تفرض وجودها على الوسط التاريخي، بل نتحدث عن المساكن التي تتميز بثراء عمراني يمكن أن يحفظ تراث المنطقة وتاريخها. هذه المساكن يمكن أن تحدد تاريخ تطور المسكن في المدينة ونمط الحياة فيها بحيث تصبح متاحف تضم كل عناصر وأدوات الحياة اليومية.

4-2-4 إعادة الحياة الاجتماعية والاقتصادية إلى الوسط التاريخي:

إنه من غير المجدي الاكتفاء بالمحافظة على بعض المباني وتحويلها إلى متاحف، كما يستحيل المحافظة على المنطقة بأكملها دون التفكير جدياً في إعادة الحياة الاجتماعية والاقتصادية إليها. والذي نعتقده أن توثيق المباني

وتصنيفها سوف يساعدنا على تحديد المباني التي يمكن تحويلها إلى وظائف أخرى (مقاه ومطاعم وأسواق وورش وغيرها) والمباني التي نبقي عليها باعتبارها مساكن خصوصاً وأن هناك أجزاء متعددة في الوسط التاريخي تسكنها أسر سعودية وعمل تطوير Upgrade لهذه الأجزاء سوف يشجع هؤلاء على البقاء في أماكنهم.

5- **الخاتمة**:

تؤكد هذه الدراسة على أن مسألة المحافظة على النسيج العمراني التقليدي لا يمكن أن تتم إلا من خلال فهم هذا النسيج بالعمق الذي يجعل من هذا الجزء من المدينة فعالاً ومؤثراً فيها، إذ أننا لا يمكن أن نعزل الوسط التاريخي لأي مدينة عن باقي أجزائها التي تطورت لاحقاً؛ لأن هذا العزل يعني خنق الوسط التاريخي وموته. المدينة السعودية التاريخية عانت من العزلة كثيراً نتيجة للتطور السريع الذي مرت به هذه المدن خلال النصف الثاني من القرن العشرين وبالتالي فقد عانت المراكز القديمة في المدن من الاختناق والتواري خلف الكتل الخرسانية التي حجبتها عن الأنظار وأبعدتها عن القيام بدور مهم وحقيقي يجعلها جزءاً حيّاً من المدينة المعاصرة، لذلك فإن هذه الدراسة تقترح من أجل إعادة الحياة الاجتماعية والاقتصادية وبالتالي العمرانية إلى تلك الأجزاء من مدننا المعاصرة القيام بعدة خطوات نراها أساسية وهي كالتالي:

- دراسة المكون الثقافية للمدن القديمة والبحث في تاريخها ونموها فلكل مرحلة مزايا وما لم نتعرف إلى المراحل المختلفة لتطور الوسط التاريخي سوف نغفل كثيراً من المزايا التي قد تساعدنا في المحافظة على المكون العمراني القديم.

– ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن المحافظة على الوسط التاريخي لا تقتصر فقط على المحافظة على النسيج العمراني، بل ينبغي أن يصاحب ذلك إحياء للحياة الاجتماعية والاقتصادية لهذا النسيج وإلا فإنه سوف يتراجع مرة أخرى وسوف يصاب بالعلل التي أصيب بها في السابق نتيجة للإهمال وبذلك يكون من غير المجدي المحافظة عليه.

– التفكير وبشكل جاد في استثمار الوسط التاريخي استثماراً لا يهدف إلى الربح بقدر ما يهدف إلى الاعتماد على الذات (الاستدامة الذاتية) وبدلا من أن نفكر في النسيج العمراني التقليدي بشكل عاطفي يحوله إلى قطع متحفية ينبغي أن نفكر فيه على أنه جزء من المدينة الحية ويجب أن يبقى كذلك وأن يتعايش مع الواقع.

– تقترح الدراسة أن يكون هناك فرق متخصصة في كل مدينة مسئولة عن المخطط العام للوسط التاريخي ومتابعته ومعالجة كل المشكلات التي قد تواجهه.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- ابن بشر، عبد الله. عنوان المجد في تاريخ نجد.- المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، 1394هـ.
- الجادرجي، رفعة. في سببية وجدلية العمارة.- بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م، ص44.
- ابن حموش، مصطفى. جوهر التمدن الإسلامي: دراسات في فقه العمران.- بيروت: دار قابس، 2006م.
- ريمون، أندريه. المدن العربية الكبرى في العصر العثماني؛ ترجمة لطيف فرج.- القاهرة: دار الفكر للنشر والتوزيع، 1991م.
- السبيعي، عبد الله. اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاجتماعية في المنطقة الشرقية (1930-1960م). 1987م، (بدون ذكر اسم ومكان الناشر).
- الشباط، عبد الله. صفحات من تاريخ الإحساء.- الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، 1409هـ /1989م.
- شولز، كريستيان نوربرغ. الوحدة والفضاء وفن العمارة؛ ترجمة سمير علي، (سلسلة عدنان أسود للعمارة (1).- بغداد: المطبعة البغدادية، 1996م.
- العبد القادر الأنصاري، محمد. تحفة المستفيد بتاريخ الحساء في القديم والجديد، 1379هـ/ 1960م.- ط2.- الإحساء: مكتبة الحساء، 1403هـ/ 1982م.

- عبد الله، سيدة علي. التطور السياسي والاجتماعي لإقليم الإحساء بين عامي 1870-1932م، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لمعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، 1988م.

- عزب، خالد. دار السلطنة في مصر: العمارة والتحولات السياسية. – القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2007م.

- غباشي، عادل نور. دراسة لبعض العمائر العثمانية بالهفوف في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، بحث ماجستير غير منشور، جامعة أم القرى، 1405-1406هـ.

- فيدال، ف. ش. واحة الإحساء؛ ترجمة عبد الله السبيعي، (لم يذكر اسم الناشر)، 1410هـ/1990م.

- فييث، جاستون. القاهرة: مدينة الفن والتجارة، كتاب اليوم، العدد308.- القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ص16.

- الملا، عبد الرحمن، تاريخ هجر، الإحساء، مكتبة التعاون الثقافي، الجزء الأول. 1410هـ/ 1990م، 1991م، ص204-205.

- الملا، عبد اللطيف، لمحات من الحياة التعليمية في الإحساء من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الهجري.-الإحساء: جمعية الثقافي والفنون.

- الموسوي، مصطفى. العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية.-العراق: منشورات وزارة الثقافة والأعلام، دار الرشيد، 1982م.

- النعيم، مشاري. "سوق القيصرية والانتعاش الاقتصادي في مطلع القرن العشرين في منطقة الإحساء،

مجلة هجر.-الإحساء: الغرفة التجارية، العدد 36(أغسطس، 1994م)، ص44-46.

- النعيم، مشاري. "دروس ومبادئ من البيئة التقليدية: دراسة لحي الصالحية بمدينة الهفوف بالمملكة العربية السعودية"، المأثورات الشعبية، العدد 33.-قطر: مركز التراث لدول الخليج، 1994م، ص7-29.
- النعيم، مشاري عبد الله. " الرسوم الجدارية في مساكن الإحساء التقليدية"، القافلة، المجد 43. العدد7. رجب 1415هـ/ ديسمبر 1994م، ص40-44.
- النعيم، مشاري عبد الله. "محاولة لتطوير إطار عملي لتوثيق العمارة التقليدية: دراسة لجزيرة تاروت في المملكة العربية السعودية". المأثورات الشعبية.- قطر:مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، العدد40. أكتوبر، 1995م، ص7-24.
- النعيم، مشاري عبد الله. "وظيفة الرمز في العمارة: رؤية نقدية للعمارة المعاصرة في المملكة"، القافلة، العدد5، جمادي الأولى 1417هـ/ أكتوبر 1996م، ص37-42.
- النعيم، مشاري عبد الله. "تصوير النخلة في النقوش الزخرفية في منطقة الإحساء "المأثورات الشعبية.- قطر: مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، العدد43، صفر1417هـ/يوليو 1996م،ص7-19.
- النعيم، مشاري. "التوافق الوظيفي والجمالي في البيئة العمرانية" القافلة، المجلد46. العدد1، 1997م، ص38-43.
- النعيم، مشاري عبد الله. "ملقف الهواء في العمارة الخليجية: إشكالية الشعبي- الكوني"، المأثورات الشعبية، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية العددان 54/53، يناير، أبريل 1999م، ص41-65.

- النعيم، مشاري عبد الله، "الدلالات الثقافية للمصطلحات المحلية في العمارة الخليجية"، المأثورات الشعبية. مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية العدد 57، يناير 2000م،ص7-35.

- النعيم، مشاري عبد الله. "سوق القيصرية: قلب الهفوف النابض"، مجلة البناء، العددان 151-152. 2003م.

- النويصر، محمد عبد الله. "المبادئ الجوهرية في النسيج العمراني – السلوكي الحديث في المستوطنات الصحراوية من المملكة العربية السعودية"، مجلة جامعة الملك سعود، العمارة والتخطيط، المجلد 3، ص51-111.

- النويصر، محمد عبد الله. خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد).- الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1999م.

- الهذلول، صالح. المدينة العربية الإسلامية: أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية.-الرياض: دار السهن، 1994م، ص142.

المراجع الأجنبية:

- Al-Musallam, A. Al-Hassa Traditional House: A Case Study of AI-Kut District, Special Work-Shop in Architectural Design (Unpublished), Dammam, King Faisal University, 1995.
- Al-Naim, M. Potentiality of the Traditional House: A case Study of Hofuf, AI Hasa, GCC Folklore Center, Doha, Qatar; 1998.
- Al-Naim, M. Continuity and Change of Identity in the Home Envi-ronment: Development of the Private House in Hofuf, Saudi Ara-bia, Unpublished Ph.D. Thesis, Newcastle, University of Newcastle Upon Tyne, 1998.
- Al-Naim, M. «Cultural Continuity: Comparing the Fereej System and Mod-ern Housing Development in Hofuf, Saudi Arabia", In Romaya, S. and Rako-di, C. (2002) Building Sustainable Urban Settlements: Approaches and Case Studies in the Developing World, London, YIDG Publishing, 2002.
- Al-Naim, M. "Growth and Re-Growth of Identity in the Traditional Arab Town Case of hofuf, Saudi Arabia", Paper presented in a Public Lecture or-ganized by Dipartimento di Progettazione Architettonica e Ambientale Uni- versita' "Federico II", Naples, Italy, December 2002 (it will be published in editing book by Prof Arch. Rolando Scarano, 2002.
- Al-Naim, M. «Dynamism of The Traditional Arab Town: Case of Hofuf in Saudi Arabia", Paper presented in the 35th seminar of Arabian studies, Brit-ish. Museum, London (17-19 July 2003), 2003.
- Al-Naim, M. The Home Environment in Saudi Arabia and Gulf States

(Vol. 1) Growth of Identity Crises and Origin of Identity. (Vol. 2) The Dilemma of Cultural Resistance, Identity in Transi-tion. CRiSSMA Working Paper N.7, Milan" Italy, Pubblicazioni dell' I.S.U. Universita CattoIica, 2006.

- Brunskill, R IIIustrated Handbook for Vernacular Architecture, London, Faber and Faber, 1971.
- Cheesman, O.B.E. In Unknown Arabia, London, Macmillan and Co., Limited, 1926.
- Dickson, H.R.P. The Arab of the Desert: A Glimpse into Badawin Life in Kuwait and Saudi Arabia, London, George Allen $ Unwin Ltd, 1949.
- Earls, M Architecture: The Sources of the Traditional Architeeture of the Eastern Province of Saudi Arabia, Unpublished Ph.D Thesis, Newcastle Upon Tyne, University of Newcastle Upon Tyne, 1989.
- Goellner, W A. (no date) (Written in late 1970s) «The Hofuf Suqs and the Jebel AI-Qara Area of the Al-Hasa Oasis, Saudi Arabia", Unpublished Re-port, Dhahran, ARAMCO, p. 8.
- Lorimer, J Gazetteer of the Persian Gulf, 'Oman and Central Ara-bia', Vol. 11, Calcutta, Superintendent Government Printing, India, 1908
- Mandaville j. E. «The Ottoman Province of AI-Hasa in the Sixteenth and Seventeenth Centuries", Journal of the American Oriental Society, 1970, 90,3, pp. 486-513.
- Makie.T. B. «Hasa: An Arabian Oasis", Geographical Journal, 1924, Vol. LXIII, pp. 189-207.
- Palgrave, W. G. Narrative of Year's Journey Through Central and eastern

Arabia (1862-63)k London, 1885, Vol. 2, Third Edition, p. 146.

- Pelly, I, Report on a journey to the Wahabee Capital of Riyadh in Central Arabia, Byculla, The Education Society's Press, 1866.
- Philpy, B. The Heart of Arabia: A Record of Travel & Exploration, London, constable and company LTD, 1922, Vol.1.
- Sadleir, G.F (l866) Diary of a Journey across Arabia (1819), Bombay (Reprinted with an Introduction by F.M. Edwards, Cambridge: The Oleander Press, 1977).
- Vidal, F.S. The Oasis of AI-Hasa, Dhahran, Saudi Arabia, Arabian Ameri-can Oil Co, 1955.
- Winterhalter, C.P Indigenous Housing Patterns and Design Princi-ples in the eastern Province of Saudi Arabia, Unpublished Ph.D. The-sis, Zurich, Swiss Federal Institute of Technology, 1981.